الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وسائر حكام الشرق الأدنى القديم
ـ دراسة تاريخية تحليلية –

أ.م.د. عبد الغني غالي فارس
جامعة البصرة ـ كلية التربية للبنات

ملخص البحث:

البحث يسلط الضوء على الهدايا التي تبادلها ملوك آشور مع سائر حكام الشرق الأدنى القديم ، وقد اتضح أن هذه الهدايا يعود زمنها إلى العصرين الآشوريين الوسيط والحديث (١٥٢١ – ٦١٢ ق.م) ، وأنها تتكون بشكل عام من المنتجات الصناعية والأخشاب والمعادن ولاسيما الذهب والفضة ، ناهيك عن الثروة الحيوانية . هذا فضلا عن أن هدايا بعض حكام الساحل الفينيقي وبلاد الأناضول إلى اثنين من ملوك آشور (آشوربانيبال ، أسرحدون) ضمت النساء أيضا .وجل الهدايا موضع البحث حققت الأهداف السياسية والاقتصادية المرجوة منها ، سواء كان ذلك من خلال تهيئتها الأجواء المناسبة لإحلال السلام في منطقة الشرق الأدنى القديم في أوقات متفرقة من العصرين الآشوريين الوسيط والحديث ، أو من خلال إسهامها الفاعل والمباشر في ديمومة حركة التبادل التجاري آنذاك بين بعض بلدان المنطقة تلك. هذا فضلا عن أن الهدايا التي تسلمها ملوك المملكة الآشورية الحديثة (٩١١ – ٦١٢ ق.م) من الحكام المتمردين على سلطتهم حصرا ، كانت إحدى

العوامل الرئيسة لعفوهم عن هؤلاء الحكام .

كما ترتب عن عامة هذه الهدايا أنها ساعدت في تعريف بلاد آشور وسائر بلدان الشرق الأدنى القديم بأهم وأجود ثروات بعضها البعض ، بل إن قسم منها أسهم في ترك بصمات حضارية بارزة على المعالم والشواهد الأثرية الآشورية والمصرية القديمة أيضا .

المقدمة :

اختلفت الآراء وتباينت في تحديد الإطار الجغرافي لمصطلح الشرق الأدنى القديم[١] ، ولكن من المرجح أن هذا المصطلح يراد به البلدان التي شهدت مولد أقدم الحضارات في العالم وهي كل من بلاد الرافدين ومصر وبلاد الشام ، فضلا عن تركيا وإيران وشبه جزيرة العرب[٢] .وعلى الرغم من إن منطقة الشرق الأدنى القديم شهدت عبر تاريخها الطويل إحداث سياسية جسام وصراعات محتدمة بين قواها المتنفذة ، فلم تخل من فترات ساد فيها السلام بين شعوبها تخللها تبادل حكامها للهدايا . ومن بينها الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وسائر حكام المنطقة تلك ، التي اخترناها موضوعا لبحثنا هذا .إن دراسة هذا الموضوع يقدم لأي باحث في التاريخ القديم معلومات مهمة عن التاريخ السياسي والحضاري لبلدان هذه المنطقة . فتبادل ملوك وحكام العالم القديم لمختلف أصناف الهدايا ، وأن كان يراد منه على وجه العموم الشروع ببناء علاقات ودية بينهم أو لتقوية تلك العلاقات[٣] ، فمما لاشك فيه إن هذه الهدايا كشفت جوانب مهمة من حضارات الشعوب القديمة أيضا، ولاسيما من الناحية الاقتصادية .

وما دفعنا للبحث في هذا الموضوع ليس لأهميته البالغة تلك فحسب ، بل ولكونه يكشف لنا جانبا مهما من التعامل الايجابي لملوك آشور مع القوى الخارجية أيضا ، ذلك التعامل الذي لم يلق الاهتمام الكافي من المؤرخين والباحثين ولاسيما المستشرقين منهم . وقد اعتمدنا في

كتابة هذا البحث على منهج علمي يقوم على دراسة وتحليل النصوص القديمة المعتمدة في هذه الدراسة ، ولاسيما المسمارية منها ، لبيان الدوافع الحقيقية لتبادل هذه الهدايا وما ترتب عنها من نتائج وبالقدر الممكن .وتم تقسيم البحث على خمسة محاور فضلا عن المقدمة والخاتمة . وقد تناولنا في المحور الأول الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وحكام مصر . وفي المحور الثاني تطرقنا إلى هدايا ملوك بلاد الأناضول إلى ملوك آشور ، في حين درسنا في المحور الثالث الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وحكام بلاد الشام. وتحدثنا في المحور الرابع عن هدايا حكام بلاد العرب إلى ملوك آشور . أما المحور الخامس والأخير فقد خصص لدراسة هدايا بقية حكام الشرق الأدنى القديم إلى ملوك آشور . وقد جاءت نتائج البحث في نهايته لتستعرض أهم الاستنتاجات التي أفرزتها قراءة الأحداث .

وقبل الخوض في تفاصيل البحث لابد من الإشارة ولو بشكل مختصر لمفهوم الهدايا موضع البحث عند الآشوريين . فالهدايا المرسلة إلى ملوك آشور ، لاسيما من الحكام التابعين لهم ، عرفت في النصوص الآشورية بالمصطلح الأكدي (namurtu) .

كما أنها كانت تسمى في هذه النصوص أحيانا [٤] (tamartu) ، وهو مصطلح يأتي في اللغة الأكدية بمعنى الإتاوة أو الضريبة أيضا[٥] . وبهذا المعنى– وكما سنلاحظ من خلال البحث – نعت ملوك آشور الهدايا التي أرسلها لهم بعض الحكام غير الخاضعين لسلطتهم ، إذ عدوها بمثابة إتاوة ، أي جزية على حسب المصطلح الشائع حاليا .

الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وحكام مصر

تبادل عدد من ملوك آشور وحكام مصر الهدايا في أوقات متفرقة من العصرين الآشوريين الوسيط والحديث ، وسنتناولها على حسب التسلسل

التاريخي لهذين العصرين وكل على حده :

١- العصر الآشوري الوسيط

دام هذا العصر ما يقرب من ستة قرون ، إذ بدأ في مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد[٦] ، أي مع خضوع أجزاء بلاد آشور الشمالية لسيطرة الميتانيين[٧] ، واستمر حتى بداية العصر الآشوري الحديث سنة ٩١١ ق.م[٨] . وقد تراوحت بلاد آشور خلاله ما بين القوة حينا والضعف حينا أخر[٩] ، لاسيما في المدة الواقعة ما بين منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريبا وحتى بداية عهد الملك الآشوري آشور – اوباليط الأول (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق.م) ، إذ خضعت آنذاك أجزاء البلاد الأخرى للميتانيين أيضا[١٠] .

ويعاصره في مصر الشطر الأعظم من عصر المملكة الحديثة (١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق.م) ، الذي بلغت فيه مصر قمة مجدها السياسي ولاسيما في عهد الفرعون تحوتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م)[١١] ، فضلا عن عهد الأسرة الحادية والعشرون (١٠٨٠ – ٩٥٠ ق.م) وجزء من عهد الأسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ – ٧٣٠ ق.م)[١٢]. والهدايا التي تبادلها ملوك آشور وحكام مصر خلال هذا العصر كانت على النحو الآتي :

هدايا الملك الآشوري إلى تحوتمس الثالث

ورد في كتابات الفرعون تحوتمس الثالث ما يدل على تسلمه الهدايا أكثر من مرة من أحد ملوك آشور المعاصرين له . ففي أحد نصوص العام الرابع والعشرين لحكمه (١٤٦٧ ق.م) أشار لتسلمه من أمير آشور قطع من حجر اللازورد تزن حوالي (١٢ رطلا) وأوان من حجر حرت الملون[١٣]. وقد جاء هذا بعد نحو عام واحد فحسب من الحملة الأولى لتحوتمس الثالث على بلاد الشام[١٤] ، وفي مستهل حملته الثانية على البلاد ، إذ تسلم هذه الهدايا حال وصوله إلى سورية في تلك الحملة[١٥]

كما أشار تحوتمس الثالث في نص أخر من نصوصه ، بأنه وقبيل عودته من حملته الثامنة على بلاد الشام ، التي وقعت أحداثها في العام الثالث والثلاثين لحكمه (١٤٥٨ ق.م)[١٦] ، فأمير آشور بعث له رأس كبش من اللازورد الحقيقي مع كبيرة من اللازورد أيضا ، فضلا عن أوان لم يتسنى لنا معرفتها لأن النص مهشم[١٧] ، ولكنها وبالقياس على الهدية السابقة قد تكون من حجر حرت الملون .ويبدو أن من أرسل الهدايا إلى الفرعون المصري في كلا هاتين المرتين ، هو الملك الآشوري آشور – رابي الأول[١٨] ، إذ يرجح انه كان متوليا لعرش بلاده خلال الحملات الثمانية الأولى لتحوتمس الثالث على بلاد الشام[١٩] وإذا ما علمنا إن الفرعون المصري كان قد سيطر خلال حملته الأولى على فلسطين ولبنان ومعظم فينيقية ، على اثر هزيمته حلف الممالك السورية الذي تزعمه ضده حاكم قادش حليف الميتانيين ، ووصل في حملته الثامنة إلى نهر الفرات لأول مرة وعبر إلى ضفته الشرقية واستولى على جزء من الأراضي الميتانية الواقعة هناك[٢٠] ، فحينها يبدو لنا أن الملك الآشوري أراد من وراء هداياه إلى الفرعون كسب صداقته وإظهار التأييد له في حربه ضد الميتانيين والممالك السورية ، وذلك ربما الحصول على دعمه لمواجهة الميتانيين الذي يبدو أنهم كانوا يتطلعون آنذاك لإتمام السيطرة على بلاد آشور ، أو لردع الميتانيين عن القيام بذلك وإذا صحت هذه الفرضية ، فمن الواضح إن الملك الآشوري لم يحقق شيئا من هذا ، إذ لم يمض سوى مدة قليلة على هديته الأخيرة إلى تحوتمس الثالث ، حتى اجتاح الملك الميتاني (ساوشتار) بلاد آشور وأخضعها لسلطته بالكامل[٢١] ، وليس ثمة ما يشير لتدخل الفرعون للحيلولة دون ذلك . هذا على الرغم من أنه عد الهدايا التي بعثها الملك الآشوري له بمثابة جزية[٢٢] ، أي دلالة على أن الآشوريين أصبحوا من

إتباعه .ولعل ذلك يعود لقوة الميتانيين من جانب ، وانشغال تحوتمس الثالث في إعادة النفوذ المصري على بلاد الشام وتثبيت دعائمه[٢٣] ، من جانب آخر . وربما كذلك لأنه لم يكن يطمح بتوسعة نفوذه لتشمل بلاد آشور البعيدة عن مصر .

هدية الفرعون المصري إلى آشور – نادين – أخي الثاني : يعد آشور – نادين – أخي الثاني (١٤١٠ – ١٣٩٠ ق.م) أحد ملوك آشور الذين حكموا بلادهم في إثناء خضوعها الكلي للسيطرة الميتانية[٢٤] . وقد ذكرت الهدية التي تسلمها من أحد فراعنة مصر في إحدى رسائل خليفته الثاني (آشور – اوباليط الأول) إلى الفرعون اخناتون (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م). فقد جاء فيها ما يفيد أن آشور – نادين أخي الثاني تراسل مع ملك مصر ، وأن الأخير أرسل له على إثر ذلك عشرون مثقالا من الذهب بمثابة هدية على الأرجح[٢٥] ، وذلك في نحو عام ١٤٠٠ ق.م[٢٦].

وعلى الرغم من إن هذه الرسالة لم تفصح عمن أرسل هذه الهدية من ملوك مصر ، ولكن يرجح أنه أمنحوتب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م)[٢٧] ، الذي اشتهر بانفتاحه على العالم الخارجي ، إذ تبادل – واخناتون من بعده – مع سائر حكام الشرق الأدنى القديم الرسائل الدبلوماسية المعروفة برسائل العمارنة(٢٨) ، وكان يهدي الذهب بسخاء لأصدقائه من هؤلاء الحكام مقابل الهدايا التي كان يتسلمها منهم[٢٩] . ولعل هديته تلك إلى الملك الآشوري جاءت على إثر الهدايا التي أرسلها الأخير له ولم تذكر في الرسالة المار ذكرها ، أو لهدف ما أراد الفرعون تحقيقه ، أو لأسباب أخرى ربما .وبالمقابل فيبدو أن آشور – نادين – أخي الثاني أراد من مراسلة أمنحوتب الثالث كسب صداقته ، وذلك لحاجته الماسة للحصول على الذهب لأغراض شتى ومنها تجميل قصوره . فقد أشير إلى أنه استخدم هدية الفرعون تلك في

تزيين قصره الذي كان في طور الإنشاء في عاصمته آشور[٣٠] .هذا ومن غير المستبعد أن هذه الهدية أسهمت حينها في إقامة علاقة صداقة ما بين آشور ومصر . كما أنها مما حفز الملك الآشوري آشور – اوباليط الأول لأن يطلب من الفرعون اخناتون – وبعد تبادلهما الهدايا التي سنأتي على ذكرها – إهداءه مقدارا من الذهب مساو لها تماما ، على حسب ما تضمنته الرسالة المار ذكرها[٣١]. والجدير ذكره إن تقرب الملك الآشوري إلى الفرعون المصري والذي أدى لحصوله على هذه الهدية منه ، لابد إنه كان بعلم الميتانيين ورضاهم ، إذ لم يكن بمقدوره الاتصال بدولة خارجية وهو خاضع للميتانيين إلا إذا كانوا هم من سمحوا له بذلك .

الهدايا المتبادلة ما بين آشور– أوباليط الأول واخناتون : بعد نجاح الملك الآشوري آشور – اوباليط الأول في تحرير بلاد من السيطرة الميتانية ، بادر بإرسال الهدايا إلى الفرعون اخناتون . فمما جاء في أولى رسائله إلى هذا الفرعون ، يتضح أنه بعث وفدا إلى الأخير حاملا له هدايا عدة ، وهي ((عربة جميلة وزوجين من الخيول وجوهرة من اللازورد الحقيقي))[٣٢]. ومما يسترعي الانتباه بخصوص هذه الهدايا ، أنها تدعى سولمانو (Sulmanu) . وهذا المصطلح في مثل هذا المضمون يعني هدايا تقدم لإقامة علاقات ودية مع توقع الحصول على شئ مقابل ذلك ، أي أنه كان ينظر للسولمانو على أنها مقدمة لعلاقات تجارية وسياسية[٣٣] ويبدو أن آشور – اوباليط الأول كان يسعى من وراء إقامة هذه العلاقات من الناحية السياسية تأكيد استقلال بلاده وتعزيز مكانتها السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم ، نظرا لمكانة مصر السياسية المرموقة عند حكام المنطقة تلك . ولا أدل على ذلك من إنها وأن كانت قد بدأت تخسر سيطرتها تدريجيا على بلاد الشام آنذاك ، لانشغال اخناتون

بثورته الدينية[٣٤] ، فلا زال كبار هؤلاء الحكام يسعون لكسب صداقتها وودها[٣٥] . وربما أن الملك الآشوري، الذي يبدو أنه كان يبذل آنذاك جهودا حثيثة للتوسع على حساب الدولة الميتانية التي كانت ومنذ عهد الفرعون تحوتمس الرابع (١٤١٥ – ١٤٠٥ ق.م) على علاقة وثيقة مع مصر[٣٦] ، أراد من وراء هذه العلاقات مع اخناتون عدم اعتراضه على مشاريعه التوسعية تلك و اعترافه بها أيضا . ومما يؤيد هذه الفرضية أن آشور – اوباليط الأول وبعد مساعدته لحليفه ارتاتاما الثاني في اعتلاء العرش الميتاني وتنازل الأخير له عن جزء من الأراضي الميتانية الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات[٣٧] ، بعث برسالة أخرى إلى هذا الفرعون نعت فيها نفسه بالملك العظيم ودعاه للتعامل معه باعتباره قد أصبح نظيرا للملك الميتاني (توشراتا) ، إذ خاطبه قائلا : ((أصبحت بمقام ملك خانيكلبات))[٣٨]. ومن استقراء الأحداث اللاحقة فمن الواضح أن آشور – اوباليط الأول قد نجح في بناء علاقات تجارية وسياسية مع مصر من جراء مبادرته بالتقرب إلى الفرعون وإرسال الهدايا له . فمن الناحية التجارية ، يتضح من رسالته الثانية إلى اخناتون أن الملك الآشوري أرسل هدايا جديدة له تتألف من عربتين إحداهما ملكية مع اثنين من الخيول البيضاء وختم من اللازورد الجميل ، وأبدى استعداده لإرسال ما يرغب به الفرعون من بلاده . ومقابل ذلك طلب من الأخير وبإلحاح أن يرسل له كمية كبيرة من الذهب لزخرفة قصره الذي كان يبنيه ، على أن لا يقل مقدارها عما أرسلته مصر سابقا إلى سلفه (آشور – نادين – أخي الثاني) أو إلى الملك الميتاني (توشراتا) ، أي عشرون مثقالا من الذهب ، مع التأكيد على أن كمية الذهب التي تسلمها منه سابقا لم تكن أقل من ذلك فحسب ، بل أنها غير كافية لتغطية المصاريف اللازمة للحفاظ على العلاقات

الآشورية المصرية[٣٩] فمما جاء في هذه الرسالة عن تبادل الهدايا ما بين هذين الملكين والإشارة الصريحة من الملك الآشوري لمظاهر الربح والخسارة ، من الواضح أنه يدل على النشاط التجاري ما بين آشور ومصر قد بدأ آنذاك أو كان على وشك أن يبدأ[٤٠] . ومن الناحية السياسية ، فلا يبدو أن العلاقات ما بين هذين الملكين قد بلغت حدا من القوة إلى درجة أنها حققت إلى الملك الآشوري كل ما كان يصبوا إليه من وراء سعيه لإقامتها مع نظيره المصري .فأخناتون الذي ربما كان يخطط لاستغلال قوة الآشوريين في الضغط على الحيثيين[٤١] ، الذين نافسوا مصر على بلاد الشام منذ عهد سلفه أمنحوتب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م) وخلال عهده أيضا[٤٢] ، وأن تعامل مع آشور – اوباليط الأول كحاكم مستقل لتحقيق غرضه هذا على ما يبدو[٤٣] ، إذ أهداه الذهب على إثر الهدايا التي تسلمها منه للمرة الأولى[٤٤] ، ولم يلتفت لادعاءات الملك الكاشي بورنا – بورياش الثاني (١٣٧٥ – ١٣٤٧ ق.م) من كون الآشوريين تابعين له[٤٥] ، ولكنه أبدى لاحقا عدم ارتياحه من تعاظم النفوذ السياسي للملك الآشوري في المنطقة . فقد عاتب بورنا – بورياش الثاني على زواجه من ابنة آشور – اوباليط الأول (موباليتات شيروا) ، معتبرا إياه قد وضع نفسه بذلك تحت سلطان الآشوريين[٤٦] هذا إلى أن كمية الذهب التي أهداها اخناتون إلى آشور – اوباليط الأول كانت أقل مما كان يتوقعه الأخير ، فلم تنل رضاه وقبوله على حسب ما تقدم . كما اشتكى الملك الآشوري من إن هذا الفرعون لم يكن يحسن معاملة رسله ، إذ كان يتركهم تحت أشعة الشمس وقت طويل[٤٧] ، وذلك قبل السماح لهم بالمثول أمامه .

هدايا حاكم الدلتا (سمندس) إلى تجلات – بيلاسر الأول :

عاشت بلاد آشور خلال عهد ملكها تجلات – بيلاسر الأول (١١١٥ –

١٠٧٧ ق.م) أزهى عهود تاريخها السياسي في عصرها الوسيط . ففضلا عن أن هذا الملك نجح في دفع الأخطار التي كانت تهدد بلاده من جهتي الشمال والغرب ، فقد كون إمبراطورية مترامية الأطراف أيضا[٤٨] . وعلى العكس من ذلك فلم تخسر مصر نفوذها في بلاد الشام تماما في تلك الحقبة فحسب[٤٩] ، بل وعانت آنذاك من انقسام داخلي أيضا ، تمخض عن نجاح أحد أشراف تانيس (سمندس) بالإنفراد بحكم الدلتا بأكملها بعد طرده أخر فراعنة الأسرة العشرون (رمسيس الثاني عشر) من عاصمة ملكه (تانيس) في السنة الخامسة لحكمه(٥٠) وفي خضم هذه الأحداث وتحديدا في حوالي سنة ١١٠٠ ق.م ، أرسل سمندس هدايا إلى تجلات – بيلاسر الأول[٥١] ، وهي عبارة عن تمساح حي وعدد كبير من القرود الإناث[٥٢]. وإذا ما علمنا أن تجلات – بيلاسر الأول كان مولع بالصيد والقنص بحيث أنه خصص في نقوشه مكانا للحملات التي قام بها لأجل ذلك [٥٣] ، وأن هدايا سمندس له وأن كانت بسيطة ولكنها من الحيوانات غير الموجودة في بلاد آشور ، فحينها يتضح لنا حرص هذا الحاكم على أن تنال هداياه تلك أعجاب ورضا الملك الآشوري لكسب صداقته ووده .ويبدو أن هذا كان لتأمين مصالح مصر التجارية مع بلاد الشام ولاسيما مع الساحل الفينيقي ، الذي وصله الملك الآشوري في إحدى حملاته وأخضع كبريات ممالكه (جبيل ، صور ، صيدا)[٥٤]، إذ لا زالت مصر تحتفظ آنذاك بقدر وافر من الصلات التجارية مع ممالك الساحل الفلسطيني والسوري ولاسيما مع جبيل[٥٥] . ولكن هناك عدد من المؤرخين يرون إن خشية سمندس من تجلات – بيلاسر الأول بعد اقترابه من مصر في إحدى حملاته ، هو ما دفعه لإرسال هذه الهدايا له[٥٦] وسواء كان هذا هو التفسير الأصح لذلك أو ما ذكرناه أو أسباب أخرى ربما ، فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار

ما ذكره الأستاذ هاري ساكز[٥٧] ، من أن الملك الآشوري هذا أقام صلات دبلوماسية مع سمندس ، فحينها يتضح أن هدايا الأخير له أثمرت حينها في التأسيس لإقامة علاقات جيدة ما بين آشور ومصر.

٢- العصر الآشوري الحديث :عد الباحثون تسلم ادد – نيراري الثاني عرش آشور في عام ٩١١ ق.م نهاية لفترة الضعف العسكري والاضطراب السياسي التي عاشتها البلاد بعد مقتل ملكها تجلات – بيلاسر الأول[٥٨] ، وبداية لعصر جديد في تاريخ آشور ، وذلك لأن هذا الملك خلص بلاده خلال سنين حكمه (٩١١ – ٨٩١ ق.م) من الأخطار التي كانت محدقة بها عشية توليه الحكم ، وكان مصدرها الآراميون وقبائل جبال زاكروس[٥٩]. وقد اصطلح على تسمية هذا العصر بالعصر الآشوري الحديث ، الذي دام حتى نهاية الكيان السياسي للآشوريين سنة ٦١٢ ق.م . كما عرف بالعصر الإمبراطوري الآشوري ، نظرا لكون الآشوريين أقاموا في معظمه إمبراطورية ضمت الجزء الأكبر من منطقة الشرق الأدنى القديم[٦٠] .ويقابله في مصر الشطر الأعظم من حكم الأسرة الثانية والعشرون وكامل عهود الأسر الثالثة والعشرون (٨١٧ – ٧٣٠ ق.م) والرابعة والعشرون (٧٣٠– ٧١٥ ق.م) والخامسة والعشرون (٧٥١ – ٦٦٣ ق.م) وشطر من عهد الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ – ٥٢٥ ق.م)(٦١) .هدايا الفرعون المصري إلى شلمنصر الثالث :مما احتوته المسلة السوداء من رسوم ونقوش ، يتضح أن وفدا مصريا جاء إلى الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م) وهو يحمل له هدايا عدة(٦٢) (ينظر ص٥١) . ولم يرد في تلك المسلة اسم الحاكم المصري الذي أرسلها له ، ولكن يرجح أنه تاكلوت الثاني[٦٣] ، وهو أحد فراعنة الأسرة الثانية والعشرون وقد حكم ما بين عامي (٨٤٧ – ٨٢٣ ق.م)[٦٤] وقد ضمت الهدايا

جمالا ذوات سنامين وفرس بحر وقردة وفيلة ، فضلا عن وحيد القرن (كركدن) وجاموسة وبقرة وحشية[٦٥] ، وجميعها من الحيوانات الإفريقية [٦٦] ، أي من الحيوانات التي لم تكن معروفة في بلاد آشور[٦٧] ، مما يدل على حرص الفرعون على التودد إلى الملك الآشوري .ولعل هذا ناجم عن مخاوفه من اقتراب الآشوريين من بلاده . فقد تزامنت هذه الهدايا مع نجاح شلمنصر الثالث سنة ٨٤١ ق . م في إخضاع مملكة إسرائيل الشمالية (السامرة) القريبة من حدود مصر الشمالية الشرقية[٦٨] ، أي بعد نحو اثني عشر عاما فحسب من مشاركة مصر بألف مقاتل لدعم التحالف السوري ضد شلمنصر الثالث في معركة قرقر سنة ٨٥٣ ق.م[٦٩] . ومن غير المستبعد أن الفرعون المصري كان يسعى من تقديمه الهدايا إلى الملك الآشوري ، تأمين مصالح بلاده التجارية مع ممالك الساحل الفينيقي أيضا . فقد تزامن هذا مع خضوع صور وصيدا إلى شلمنصر الثالث أيضا[٧٠] .ومن جانبه فالملك الآشوري أظهر سروره وافتخاره بهذه الهدايا ، إذ صور مشهد تسلمه لها من الوفد المصري على المسلة السوداء وعدها بمثابة جزية أيضا[٧١] ، وهذا ما يعني ضمنا أن مصر لم تعد بنظره دولة معادية له . ولاشك إن هذا كان مدعاة لارتياحه ، ولاسيما أنه لم يكن بمقدوره آنذاك القيام بأي عمل عسكري ضد مصر للرد على تدخلها في الشأن السوري المتقدم ذكره وهو لم ينته بعد من فرض سيطرته حتى على شمال بلاد الشام .

الهدايا المتبادلة ما بين سرجون الثاني وفراعنة مصر:

من خلال التمعن في نصوص الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) ومصادر تاريخية أخرى ، يظهر جليا أن الملك الآشوري تسلم هدايا من أحد فراعنة مصر وتبادل الهدايا مع آخر منهم . فبناء على ما ورد في أحد نصوص العام السابع

لحكمه (٧١٥ ق.م) يمكن القول أنه تسلم هدايا من أحد الفراعنة المعاصرين له وليست جزية مثل ادعى هو في نصه هذا . فمن المعلوم أن مصر لم تخضع لسلطته إطلاقا . وقد جاء ذكر أصنافها ضمن الهدايا أو الجزي المقدمة إلى الملك الآشوري من إحدى ملكات عرب بادية الشام (شمسي) ومن أحد حكام سبأ (يثع آمر) أيضا ، إذ جاء في هذا النص : ((وتسلمت من برعو ملك مصر ومن سمسي ملكة بلاد العرب ويتع آمر السبئي ... جزية تبر من الذهب وأحجارا كريمة وعاجا وأبنوسا وكل أنواع المواد العطرية وتسلمت كذلك خيلا وجمالا))[٧٢] . ويرجح أن من أرسل الهدايا من حكام مصر هو ثاني وأخر فراعنة الأسرة الرابعة والعشرون ، باك إن رنف (بوخوريوس عند الإغريق) الذي حكم شمال مصر ما بين عامي (٧٢٠ – ٧١٥ ق.م)[٧٣] . ولكن من الصعب إن ننسب ذلك إلى وجود تهديد آشوري لمصر فحسب على حسب ما يرى جملة من المؤرخين[٧٤] . فصحيح أن هذا الفرعون هو من أشعل التمرد في سوريا وفلسطين ضد سرجون الثاني في عام ٧٢٠ ق.م وأرسل جزء من جيشه لمساعدة حاكم غزة (حنون) في التصدي للهجوم الآشوري على مدينته آنذاك على الأرجح[٧٥] ، مما يجعله عرضة لضغوطات آشور وتهديداتها . ولكن لو كان هذا وحده هو الذي دفعه لإرسال تلك الهدايا إلى الملك الآشوري لكان الأجدر به فعل ذلك حال إخماد الأخير في ذلك العام لحركة التمرد تلك ووصوله إلى رفح وهزيمته الجيش المصري بالقرب منها[٧٦] ، لا إن ينتظر خمسة أعوام كاملة بعد هذه الأحداث ليقدم على هذه الخطوة ، لاسيما أنه لم يرد في المصادر القديمة ما يدل على أن الآشوريين هددوا مصر بشكل مباشر سنة ٧١٥ ق.م ، بل جاء في النصوص الآشورية ما يفيد بأن الملك الآشوري كان منشغلا آنذاك بالدرجة الأساس في إخماد حركات التمرد

التي اندلعت ضده في المناطق الشرقية لمملكته[٧٧] . وبناء على هذا فالرأي الأقرب للصواب هو إن هنالك تهديدا أخطر وأعظم واجه باك إن رنف آنذاك ودفعه من ثم للسعي لمهادنة الملك الآشوري بإرسال الهدايا له ، لكي يسخر من ثم كل إمكاناته المتاحة لمواجهة هذا التهديد على ما يبدو ، وهو على حسب اعتقادنا الزحف الكوشي إلى الدلتا . فمن المرجح إن تحرك ثاني فراعنة الأسرة الخامسة والعشرون شاباكا (٧١٥ – ٧٠١ ق.م) صوب الدلتا وضمها لسلطته ، كان في حوالي عام ٧١٥ ق.م[٧٨] .

وعلى أي حال فيظهر من عد الملك الآشوري لهذه الهدايا بمثابة جزية على حسب ما تقدم ، أنها حظيت برضاه وقبوله ، فلم يعد يشكل من ثم أي تهديد لمصر آنذاك .والى جانب باك إن رنف ، فقد تسلم سرجون الثاني هدايا من الفرعون شاباكا أيضا[٧٩] ، وهي عبارة عن اثني عشر جوادا لا يوجد لها مثيل في أرجاء مصر . فقد ورد في أحد نصوص الملك الآشوري هذا : ((ملك مصر الذي ... سحر آشور سيدي الذي يبعث الفزع قد تغلب عليه فاحضر اثني عشر جوادا عظيما ليس لها مثيل في هذه البلاد))[٨٠] فمما يدل على أن ملك مصر المذكور في هذا النص هو شاباكا ، أنه عثر في كيون جيك على أختام من الصلصال باسم هذا الفرعون كانت تستخدم لختم الأشياء التي كان يرسلها إلى آشور[٨١] . هذا فضلا عن الهدايا التي بعثها سرجون الثاني له ، وعدها شاباكا دليل على أنه أصبح سيد آسيا ورسمه مصوروه على الآثار وهو يمسك بناصية الأسيويين[٨٢] . فلو أن الملك الآشوري لم يكن قد تلقى هدايا منه لما أهداه شيئا يذكر .ومن المرجح إن هذين الملكين تبادلا الهدايا في أعقاب نجاح سرجون الثاني في إخماد التمرد الذي حدث ضده في فلسطين بقيادة حاكم أشدود (أياماني) سنة ٧١١ ق.م[٨٣] ، وكان بتحريض

من شاباكا على ما يبدو[٨٤] ، وتشيده آنذاك حصنا عسكريا آشوريا في وادي العريش على حدود مصر عرف ببوابة مصر[٨٥] ، أي بعدما أصبح الآشوريون على بعد ميلا واحدا من حدود مصر الشرقية[٨٦] ، وما تلا ذلك في العام نفسه من إسراع شاباكا بإرسال أياماني – الذي لجأ إلى مصر بعد فشل التمرد – مكبلا بالحديد إلى الملك الآشوري[٨٧]. ومن الواضح إن إرسال الفرعون الكوشي بالهدايا وحاكم اشدود المتمرد إلى الملك الآشوري كان له حينها أثرا ايجابيا على العلاقات الآشورية المصرية . فسرجون الثاني وزيادة عن كونه أرسل هدايا إلى شاباكا على حسب ما تقدم ، فقد فتح سبل التجارة ما بين آشور ومصر أيضا[٨٨] ، مما يحمل على الاعتقاد إن هذين الملكين أبرما اتفاقا دبلوماسيا أو عقدا معاهدة سلام[٨٩]. وهذا بدوره يعكس لنا الرغبة الجادة للملك الآشوري في إقامة علاقات وطيدة مع مصر لدرء تدخلات فراعنتها في شؤون بلاد الشام ، وما ذلك إلا لإدراكه إن ضم صر لنفوذه لوضع حد لهذه التدخلات لم يكن بالأمر الهين على الآشوريين نظرا لكبر مساحة مصر وبعدها عن بلاد آشور .وهذا وقد حافظ شاباكا على علاقات السلام مع آشور طيلة المتبقية من حكمه[٩٠] ، إذ لا يوجد ما يشير لإقدامه على أي عمل معاد ضدها آنذاك .

هدايا آشوربانيبال إلى الأمير نخاو : لم تقتصر الهدايا المتبادلة ما بين حكام آشور ومصر على غير الخاضعين منهم لسلطة بعضهما البعض فحسب . فالملك الآشوري آشوربانبيال وبعد آسره لتابعه نخاو ، الذي كان على رأس الأمراء المصريين الذين خططوا للتمرد على سلطته في عام ٦٦٦ ق.م بالاتفاق مع الفرعون الكوشي طهراقا (٦٨٩ – ٦٦٣ ق.م)[٩١] ، وفضلا عن أنه صفح عنه آنذاك وأعاده ثانية حاكما لمدينة سايس (صان الحجر

الآن) ، فقد أغدق عليه بالهدايا الثمينة الهبات السخية أيضا[٩٢] .

وهذا ما أشار الملك الآشوري له في نصه الآتي: ((أما أولئك الملوك الذين خططوا الشر ضد جيوش آشور ، فقد أحضروهم إلي إحياء إلى نينوى . ومن بينهم جميعا رحمت نخاو فقط ، وأبقيت على حياته ، وعقدت معه معاهدة مدعمة بمواثيق فاقت كثيرا مواثيق المحالفة السابقة . ألبسته حلة مزركشة، ووضعت على عنقه سلسلة من الذهب رمزا لملكه ، ووضعت خواتم الذهب على أصابعه ، وكتبت اسمي على خنجر حديد (جرابه من الذهب) وأعطيته إياه. وقدمت له العربات الحربية والخيول والبغال ليركب عليها كالملوك . أرسلت معه مسئولين من عندي بطلب منه ليخدموه كتلاميذ. واعدت له (سايس) لتكون مقرا لملكه وهو المكان الذي كان والدي قد نصبه فيه ملكا))[٩٣] . ولا تخلو تلك الهدايا أو معظمها من رسائل ذي دلالات سياسية أراد الملك الآشوري إيصالها إلى نخاو على ما يبدو . فوضعه السلسلة الذهبية التي أهداها له على عنقه ، إنما يتبع بذلك عادة مصرية[٩٤] ، إذ درج ملوك مصر منذ عهد دولتهم القديمة (٢٧٨٠ – ٢٢٨٠ ق.م) عند تكريمهم لرجال البلاط الملكي وكبار موظفي الدولة على تقليدهم مثل هذه القلادة[٩٥] ، مما يعني أن الملك الآشوري أراد بذلك إشعار نخاو إنه – أي آشوربانيبال – الحاكم الفعلي لمصر وسيده الأعلى وليس طهراقا . كما إن نقش الملك الآشوري أسمه على الخنجر الحديدي ، لعله أراد من خلاله أن يتذكر نخاو كلما نظر إلى هذا الخنجر بأنه هو من منحه السلطان والقوة ، ومن ثم فعليه توجيه سلاحه إلى أعداء آشور . كذلك تقديمه له العربات الحربية والخيول والبغال لحمل إثقاله ، أو ليركب عليها كالملوك بناء على ما ورد في النص المار ذكره ، فيبدو أن الهدف منه إشعار نخاو بأن الآشوريين حريصين على منحه المكانة السياسية التي يستحقها ، لكي

يدين من ثم بالولاء لهم لا إن يضع نفسه تحت إمرة الكوشيين ويعمل لصالحهم . ولعل ما دفع آشوربانيبال لخص نحاو بهذا التعامل الحسن للغاية ومن ذلك تقديمه له الهدايا المار ذكرها ، هو لأن هذا الأمير كان يعد وريث الأسرة المصرية الرابعة والعشرون وسليل أكبر بيت في مصر منافس لطهراقا[٩٦]، أي أنه الوريث الشرعي للعرش المصري وكان يعد أشد المنافسين على العرش لفراعنة مصر السابقين (الكوشيين) أيضا ، أعداء آشور الحقيقيين . وهذا بدوره يجعلنا نعتقد إن ما ابتغى الملك الآشوري تحقيقه من وراء ذلك ، المساعدة في توطيد سيادته على مصر ، لاسيما في الدلتا . فقد كان نخاو يحكم إحدى مدنها الرئيسة (سايس) التي انحدر منها ملوك السلالة الرابعة والعشرون المصرية وكانت عاصمة لهم[٩٧] . وكذلك لكسب تابع مهم في مواجهة أعداءه الكوشيين . فالسلالة الكوشية التي حكمت مصر بشكل متتابع ما بين عامي (٧١٥ – ٦٧١ ق.م) ، استمر رموزها – وعلى رأسهم طهراقا – بحكم بلاد النوبة المجاورة لمصر حتى بعد طردهم من الأخيرة على يد أسرحون وآشوربانيبال ما بين عامي (٦٧١ – ٦٦٧ ق.م)[٩٨] ، بل وكانوا يسعون لحكم مصر مجددا[٩٩] ومن الواضح إن آشوربانيبال قد حقق أهدافه تلك إلى حد ما . فقد حافظ نخاو على ارتباطه السياسي بآشور طيلة السنوات الثلاثة اللاحقة المتبقية من حياته[١٠٠] ، وقطع صلاته بالكوشيين تماما في إثناء ذلك . فالنص الآشوري الذي تحدث عن اجتياح ملك النوبة الكوشي (تانوت آمون) سنة ٦٦٣ ق.م إلى الدلتا ومحاصرته الحامية الآشورية الموجودة في حاضرتها (منف) ، لم يشر إلى تمرد نخاو وتعاونه مع هذا الملك بتاتا[١٠١] ، بل أشير إلى إن نخاو لقي حتفه وهو يحاول التصدي له[١٠٢] .

ثانيا : هدايا ملوك بلاد الأناضول إلى ملوك آشور:الهدايا كافة التي

أرسلها ملوك الأناضول (آسيا الصغرى) إلى ملوك آشور ، تعود إلى العصر الآشوري الحديث ومن ملوك مستقلين وآخرين تابعين لآشور وهي حسب السبق التاريخي: هدايا ملك كلزانو (أسو) إلى شلمنصر الثالث : تفيد المعلومات المتوفرة إن أسو ملك كلزانو[١٠٣] ، كان قد خضع إلى الملك الآشوري شلمنصر الثالث في عام ٨٥٩ ق.م ، ثم تمرد عليه بعد نحو عامين من هذا . وعندما أرغمه الملك الآشوري على الاستسلام آنذاك[١٠٤] ، قدم له مع الجزية المفروضة عليه بعض الهدايا التي ضمت الخيول والأغنام والإبل ذات السنامين ، فضلا عن النبيذ . وهذا ما ذكره شلمنصر الثالث في النص الآتي : ((اقتربت من أرض كلزانو ، خرج ضدي أسو ملك كلزانو مع إخوته وأبناءه . تلقيت منهم الجزية وهدايا لجلالتي وهي خيول مطهمة ومواشي وأغنام ونبيذ وسبعة جمال ذات السنامين))[١٠٥] .ويبدو إن حرص أسو على التودد إلى الملك الآشوري وإرضاءه بعد خروجه عن طاعته هو ما دفعه لتقديم هذه الهدايا له . وربما إن الملك الآشوري هو من أوعز له فعل ذلك ، إذ نعلم إن ملوك آشور كانوا أحيانا يفرضون على بعض الحكام التابعين أن يقدموا مع الجزية السنوية هدايا خاصة لهم أيضا .وعلى أي حال فمن المرجح إن إذعان هذا الحاكم للسلطة الآشورية ثانية واستئنافه دفع الجزية وتقديم الهدايا المتقدم ذكرها إلى شلمنصر الثالث ، كانت أسباب كافية لجعل الأخير يبقيه في منصبه . ومن ثم استمر أسو تابعا إلى آشور طيلة المدة المتبقية من حكمه ، إذ لا يوجد ما يشير لعودته للعصيان مجددا .

هدايا ملك المشكو (ميتا) إلى سرجون الثاني :أقدم أشارة عن علاقة الآشوريين مع المشكو[١٠٦] ، تعود إلى عهد الملك الآشوري تجلات – بيلاسر الأول . ومنها يتضح إن الأخير غزا المشكو في بداية عهده على أثر احتلالهم لمنطقة كادموخ[١٠٧] ، التي كانت تعد آنذاك

مقاطعة آشورية ، فهزمهم وأنتزع كادموخ من قبضتهم[١٠٨] . وفي أثناء عهد الملك الآشوري سرجون الثاني ، فمملكة المشكو التي كانت قائمة آنذاك في جنوب غربي الأناضول[١٠٩] ، أصبحت من القوة ما جعل ملكها (ميتا) يسهم بمفرده تارة وبالتحالف مع مملكة أورارتو الأرمينية تارة أخرى في زعزعة السلطة الآشورية في بعض مناطق الأناضول وشمالي سوريا ، وذلك ما بين عامي (٧١٧ – ٧١٣ ق.م) [١١٠] .

ولكن وعلى حسب ما جاء في أحد النصوص الآشورية ، التي يعود تاريخها إلى عام ٧٠٨ ق.م[١١١] ، فميتا أرسل آنذاك مبعوثا إلى سرجون الثاني وهو يحمل له هدايا لم يذكر النص مضمونها[١١٢] ، مع رسالة تتضمن عرضا للسلام بينهما[١١٣] .وقد عزا الملك الآشوري التغيير المفاجئ في موقف ملك المشكو هذا لشروع الحاميات الآشورية في قوي (كليكيا) في ذلك العام بالهجوم على المشكو وتدميرها وإحراقها لعدد من مدنهم[١١٤] ، ولكن يبدو إن السبب الرئيس الذي دفع ميتا لذلك تهديد الكيميريين[١١٥] لبلاده ، وذلك بعد فشل الملك الأورارتي أرجستيس الثاني (٧١٤ – ٦٨٠ ق.م) من وقف اندفاعهم إلى الأناضول عبر الجهات الشمالية لبلاده[١١٦] . وعلى أي حال فقد مهدت مبادرته تلك ومنها إرساله الهدايا إلى الملك الآشوري ، لفتح صفحة جديدة في العلاقة ما بين آشور والمشكو . فقد ابتهج سرجون الثاني بذلك وشرع بإجراء مفاوضات مع ميتا لإقرار السلم بين بلديهما[١١٧] ويبدو إن ما دفعه لذلك رغبته الجادة في الوصول لسلام دائم مع المشكو ، لأن ذلك من شأنه إذا تحقق إن يؤدي لتوقف ميتا عن التدخل في الشؤون الآشورية ، فضلا عن فك ارتباطه مع مملكة أورارتو ، التي وأن نجح سرجون الثاني في إضعافها إلى حد كبير في حملته ضدها سنة ٧١٤ ق.م(١١٨) ، فلا زال الملك الآشوري يخشى خطرها آنذاك(١١٩) . وقد

تحقق ذلك على أرض الواقع ، إذ لم نعد نسمع بعد عن أية محاولة من ميتا للإساءة لآشور سواء كان ذلك بمفرده أو بالتحالف مع أعدائها ولاسيما أورارتو .

هدايا ملك ليديا (كايجيس) إلى آشوربانيبال : تقع ليديا في غرب الأناضول بين ميسيا شمالا وكاريا جنوبا وفريجيا شرقا وبحر ايجة غربا[١٢٠] . وبناء على المعلومات المتوفرة ، فأول نص تاريخي تحدث عن علاقتها مع بلاد آشور ، هو نص الملك الآشوري آشوربانيبال الذي يرجع تاريخه إلى عام ٦٦٣ ق.م[١٢١] . وهو النص نفسه الذي أشار إلى الهدايا التي تسلمها آشوربانيبال من ملك ليديا(كايجيس) ، الذي حكم ما بين عامي (٧٠٤ – ٦٥٤ ق.م) على حسب ما توصل لذلك الأستاذ سامي سعيد الأحمد[١٢٢] . ومن هذا النص يتضح إن كايجيس وبعد نجاحه في التصدي للكيميريين وإلحاقه الهزيمة بهم في ذلك العام ، أهدى إلى الملك الآشوري اثنين من آسراهم مع هدايا أخرى ثمينة لم يشر النص لمضمونها[١٢٣] ، ولكنها قد تكون جزء من الغنائم التي غنمها كايجيس من الكيميريين ، أو من ثروات بلاده المتنوعة . ومما ذكر فيه حول هذه الهدايا : ((كايجيس ملك ليديا ... قيد اثنين من زعماء الكيميريين وأرسلهم إلى آشوربانيبال في نينوى مع هدايا ثمينة))[١٢٤] .ومن الواضح أن الملك الليدي كان يريد من وراء ذلك كسب صداقة الملك الآشوري ليتحالف معه ضد الكيميريين ، الذين كانوا ومنذ أواخر حكم سرجون الثاني أعداء لآشور أيضا[١٢٥] . ففضلا عن كايجيس وقبيل هذه الأحداث كان قد بعث سفارة إلى آشوربانيبال ينشد صداقته ويطلب منه مساعدة عسكرية ضد الكيميريين[١٢٦] ، فمما احتوته الهدايا المشار إليها مما يؤكد ذلك أيضا ، إذ تدل على أن كايجيس عد آشوربانيبال حليفا له ضد الكيميريين . هذا مع أن الملك الآشوري لم يكن له أي دور في انتصاره عليهم[١٢٧] ، بناء على ما

يمكن فهمه مما صرح به آشوربانيبال نفسه في نص آخر من نصوصه[١٢٨] ومن المرجح أن هذه الهدايا أسهمت في دفع آشوربانيبال للتحالف مع ليديا هذه المرة . فالكيميريين لم يجرؤا على غزو ليديا مجددا في حوالي عام ٦٥٤ ق.م ، إلا بعد توقف الملك الآشوري عن دعم كايجيس على إثر تقديمه المساعدة إلى الأمير المصري (بسماتيك) لتحرير بلاده من السيطرة الآشورية سنة ٦٥٥ ق.م[١٢٩] .

هدايا ملكي تابال وهيلاكو إلى آشوربانيبال :تقع مملكتي تابال وهيلاكو في منطقة جبال طوروس(١٣٠) ، إلى الشمال الغربي من بلاد آشور(١٣١) . وقد خضعت تابال للسلطة الآشورية للمرة الأولى خلال عهد شلمنصر الثالث[١٣٢] . أما هيلاكو فأول نص تاريخي أشار لعلاقتها مع الآشوريين ، هو أحد نصوص العام التاسع لحكم سرجون الثاني (٧١ ق.م) ، ومنه يتضح أن هيلاكو كانت خاضعة حينها إلى الحكم الآشوري المباشر[١٣٣] .ومن ثم وتحديدا في أواخر عهد أسرحدون تمردت هاتين المملكتين على آشور ، وبضغط مباشر من الكيميريين[١٣٤] . ولكنه في حوالي سنة ٦٦٣ ق.م ، فملك تابال (موجالو) وملك هيلاكو (ساندا شارم) وفدا على الملك الآشوري آشوربانيبال ليعلنا الخضوع له ويصبحا تحت حمايته[١٣٥] ، وقد أهدى له كل واحد منهما بهذه المناسبة ابنته وزاد موجالو على ذلك بأن قدم هدايا أخرى أيضا . وهذا ما أفاد به آشوربانيبال في نصه الآتي : ((أما موجالو ملك تابال الذي خاطب الملوك إبائي بكلمات عداء ، فقد احضر ابنة من صلبه بمهر كبير إلى نينوى لتكون حظيتي وقبل قدمي وقد فرضت جزية سنوية عليه من الخيل الكبيرة . أما ساندا شارم ملك كليكيا (هيلاكو) الذي لم يخضع للملوك إبائي ولم يحمل نيرهم فقد احضر ابنة من صلبه وقبل قدمي))[١٣٦] .

ويبدو إن ما دفع هذين الملكين لذلك الضغوطات القوية التي تعرضت لهما

مملكتيهما آنذاك من الكيميريين وغيرهم من الأقوام الهندو أوربية التي غزت تركيا من جهة الشرق[١٣٧] .

ومن الواضح من النص المار ذكره ، أن الملك الآشوري سر كثيرا بالخضوع الطوعي لهذين الحاكمين وبهداياهما له وقبل ذلك منهما أيضا ، مما ضمن لهما حمايته من أية أخطار تهددهما لاحقا .

ثالثا: الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وحكام بلاد الشام :يعود زمن هذه الهدايا إلى العصر الآشوري الحديث ، الذي بدأ الآشوريون فيه بضم بلاد الشام لسلطتهم تدريجيا منذ عهد الملك الآشوري آشور – ناصر – بال الثاني (٨٨٤ – ٨٦٠ ق.م)[١٣٨]. وهي على حسب التسلسل الزمني على النحو الآتي :

١. هدايا حكام الساحل الفينيقي إلى آشور – ناصر – بال الثاني :يعد آشور – ناصر – بال الثاني أول ملك من ملوك المملكة الآشورية الحديثة تحدث عن بلوغه البحر المتوسط وإخضاعه ممالكه الفينيقية . فقد ورد في أحد نصوص سنة حكمه الثامنة (٨٧٧ ق.م) ما يفيد أنه وبعد اجتياحه شمال بلاد الشام ووصوله سواحل البحر المتوسط آنذاك ، سارعت كل من صور وصيدا وجبيل وأرواد ومدن فينيقية أخرى (محلاتا ، مايزة ، كايزة) لتقديم الجزية له ، التي اشتملت على الذهب والفضة ومواد نحاسية وملابس كتانية وقردة وعاج وأبنوس وأخشاب[١٣٩] . ومن المرجح أن من قدم هذه الأشياء النفيسة إلى الملك الآشوري ، هم حكام المدن الفينيقية تلك . فمن المعلوم أنها كانت تحكم من أنظمة ملكية منذ الألف الثاني قبل الميلاد على اقل تقدير .هذا من جانب ، ومن جانب أخر فما قدموه إلى الملك الآشوري كانت هدايا وليست جزية ولمرة واحدة فحسب[١٤٠]، وذلك نتيجة للذعر الذي أصابهم عند وصوله إلى شواطئ البحر المتوسط[١٤١] . ففضلا عن أن آشور – ناصر – بال الثاني لم يشر في نصه هذا لاجتياحه لأي من هذه

المدن أو حتى شروعه بغزوها ، لكي يصبح حكامها ملزمون في حال حصل ذلك بدفع الجزية له ، فليس ثمة ما يشير إلى أن أي منها قد دفعت له لاحقا شيئا يذكر ، بل إن خلفه شلمنصر الثالث لم يذكر في نصوصه أنه تسلم الجزية من صور وصيدا لأول مرة إلا في العام الثامن عشر لحكمه (٨٤١ ق.م) وجبيل بعد نحو ثلاثة أعوام من هذا[١٤٢] .هذا ويتضح من إقلاع آشور – ناصر – بال الثاني عن مهاجمة الممالك الفينيقية تلك بعد إرسالها له الهدايا المتقدم ذكرها ، أن الأخيرة حققت الغايات المنشودة منها .

٢. هدايا ملك يهوذا (آحاز) إلى تجلات – بيلاسر الثالث :يبدو أن أول خضوع لمملكة إسرائيل الجنوبية (يهوذا) للسلطة الآشورية ، كان في عهد الملك الآشوري ادد – نيراري الثالث (٨١١ – ٧٨٣ ق.م) [١٤٣] . وإذا صح هذا فمن المؤكد أنها تمردت خلال حقبة الضعف الأولى للملكة الآشورية الحديثة (٧٨٣ – ٧٤٥ ق.م)[١٤٤] ، إذ تدل شواهد الأحداث على أن الآشوريين فقدوا سيطرتهم تدريجيا آنذاك على معظم أرجاء بلاد الشام وفي مقدمتها فلسطين .وعلى الرغم من أن الملك الآشوري تجلات – بيلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) قام بحملات عدة على بلاد الشام لإعادة إخضاعها لسلطة بلاده ، فلم يرد في نصوص حملاته تلك ولا في نصوصه الأخرى أي ذكر ليهوذا[١٤٥] ، فمصدرنا الوحيد عن علاقته بهذه المملكة والهدايا التي أرسلها له حاكمها آحاز ، هي بعض نصوص العهد القديم فحسب . فقد جاء فيها أن آحاز بعث هدايا إلى الملك الآشوري هذا مع التعهد بالخضوع له ، لكي يحفزه على التدخل لإنقاذه من ملك دمشق (رصين) وحليفه ملك السامرة (فقح) ، اللذان كانا قد أعلنا الحرب ضده وحاصرا عاصمته (أورشليم)[١٤٦] . والى القارئ النص الذي أشار لهذه الهدايا : ((واخذ آحاز ما وجده من الفضة والذهب في

هيكل الرب وخزائن قصر الملك وأرسله هدية إلى ملك آشور))[١٤٧] .ولكن لا يبدو أن هذا مما دفع تجلات – بيلاسر الثالث لغزو بلاد الشام مجددا سنة ٧٣٤ ق.م وإخضاعه السامرة بعد إلحاقه نصف المناطق التابعة لها آنذاك بحكمه المباشر[١٤٨] ، فضلا عن ضمه لمملكة دمشق بالكامل ما بين عامي (٧٣٣ – ٧٣٢ ق.م)[١٤٩] ، مما أدى لإنقاذ يهوذا وملكها من خطرهما . فالملك الآشوري كان عازما حينها على التدخل في بلاد الشام مجددا للقضاء على تحالف دمشق والسامرة المناهض له ولإخضاع ما تبقى من أرجاء البلاد لسلطته ، بل أشير إلى أنه كان في تلك الآونة في شمال سورية وربما كان معسكرا مع جيشه في مكان قريب من دمشق[١٥٠] ولكن من المرجح أن هذه الهدايا جنبت يهوذا غزوا آشوريا محتملا ، ولاسيما إن آحاز توجه إلى دمشق عشية دخول تجلات – بيلاسر الثالث إليها وأعلن الخضوع له ، على حسب ما أفاد بذلك العهد القديم أيضا[١٥١] .

٣. هدايا ملكي صور وارواد إلى ملوك آشور:لم تقتصر هدايا حكام الساحل الفينيقي إلى ملوك آشور على المقتنيات المادية فحسب ، فأحيانا كانت تضطرهم الظروف لئن يهدوا لهم وزيادة على ذلك بناتهم أيضا . فملك صور (بعلو الأول) الذي تمرد سنة ٦٧٢ ق.م على الملك الآشوري أسرحدون وأجبره الأخير للخضوع له ثانية بعد نحو عام من هذا([١٥٢] ، قدم على أثر ذلك وفضلا عن الجزية بعض بناته ومعهن هدايا ثمينة إلى الملك الآشوري . وهذا ما أشار له النص الآتي : ((بعلو ملك تاير (صور) الذي يسكن وسط البحر .. وتخلى عن عبوديتي .. قوة آشور .. ، وعظمة جلالتي تغلبت عليه ... وانحنى للأسفل ... جزيته الثقيلة ، بناته مع مهورهن الثمينة ... هو ... كل ذلك الذي أوقفه ... وقبل قدمي))[١٥٣] .كما إن هذا الحاكم

وبعد خروجه على الملك الآشوري آشوربانيبال في عام ٦٦٥ ق.م واضطراره للاستسلام في العام نفسه[١٥٤] ، أهدى ابنته وبنات أخيه إلى الملك الآشوري ومعهن الهدايا أيضا . وهذا ما أخبر عنه آشوربانيبال بالقول : ((في حملتي الثالثة زحفت على بعلو ملك تاير ... وأجبرتهم على الخضوع لنيري وقد احضر ابنته وبنات أخيه للخدمة كمحظيات ... وتسلمت منه ابنته وبنات أخيه ومعهن مهورهن)) [١٥٥] .ومن جانبه فملك أرواد (أياكينلو) الذي حذا حذو بعلو الأول في التمرد على آشوربانيبال في ذلك العام ومن ثم الرضوخ له مجددا آنذاك ، أهدى على أثر ذلك ابنته إلى الملك الآشوري وهي محملة بالكثير من الهدايا له أيضا[١٥٦] . فقد جاء في أحد نصوص آشوربانيبال وهو يتحدث عما تلا خضوع هذا الحاكم لسلطته ثانية ، ((واحضر ابنته ومعها مهر كبيرة إلى نينوى للخدمة كمحظية وقبل قدمي)) [١٥٧] .وقد أشير في هذا الخصوص إلى إن الهدايا التي أرسلها أياكينلو إلى الملك الآشوري ضمت الأرجوان والأسماك والطيور[١٥٨] يبدو أن سعي بعلو الأول لتثبيت بنود الصلح مع أسرحدون وآشوربانيبال ولإرضائهما وكسب ودهما ، هو ما دفعه لتقديم الهدايا المارة الذكر لكل منهما تباعا . ومن المحتمل أن إهداء أياكينلو ما تقدم ذكره إلى آشوربانيبال ، كان للدوافع نفسها أيضا .غير أن ما قدمه ملك صور هذا من خضوع وهدايا إلى أسرحدون ، لم تحل دون تحجيم الأخير لسلطته . فالملك الآشوري وأن رفع الحصار وصفح عنه ، ولكنه أبقاه حاكما على جزيرة صور فحسب ، إذ أنتزع منه المناطق التابعة له في البر وألحقها بالحكم الآشوري المباشر[١٥٩]. أما آشوربانيبال ، فلم يكتف بالعفو عن هذين الملكين وإقرار كل منهما على حكم مملكته فحسب ، بل وأعاد إلى بعلو الأول ابنه (يحي – ميلكي) أيضا ، الذي كان والده قد أرسله إلى

نينوى لإعلان الولاء والخضوع إلى الملك الآشوري[١٦٠] ، ولكي يبقى عنده كرهينة أيضا على ما يبدو .

٤. الهدايا المتبادلة ما بين آشوربانيبال وأمراء أرواد :وفضلا عن هدايا ملك أرواد المار ذكره إلى الملك آشوربانيبال ، فأبناءه العشرة تبادلوا الهدايا بعد وفاته مع آشوربانيبال . وهذا ما اخبر عنه الأخير في نصه الآتي ((وبعد إن مات أياكينلو ملك أرواد ، فان ... أولاد أياكينلو ... أتوا من البحر بهداياهم الثقيلة وقبلوا قدمي وقد نظرت بسرور إلى ازي بعل وجعلته ملك أرواد وألبست آبي بعل وادوني بعل وسياتى بعل وبودي بعل وبعليا شوبو وبعل جنونو وبعل ملوكو وآبي ملكي واحي ملكي ملابس مزخرفة ووضعت خواتم ذهب على أيديهم)) [١٦١] .ومن الواضح مما ذكر في هذا النص إن كل من أبناء أياكينلو كان يريد من تجشمه عناء السفر إلى الملك الآشوري وهو يحمل الهدايا الثقيلة له الفوز بعرش أرواد[١٦٢] ، وأن آشوربانيبال وأن وقع اختياره على احدهم (ازي بعل) لكونه رأى أنه أفضلهم وكان أكبرهم سنا على ما يبدو[١٦٣] ، فقد حاول استمالة الآخرين أيضا ، إذ أغدق عليهم بالهدايا الثمينة .ولكن ذلك لا نستطيع إن نرتب على أساسه أي نتائج تذكر . فقد أضاف الملك الآشوري في نصه هذا أنه أبقى أبناء أياكينلو التسعة في بلاطه[١٦٤] ، أي وضعهم رهن الإقامة الجبرية ، لخشيته أن ينازعوا شقيقهم (ازي بعل) على عرش أرواد على الأرجح . ولعلهم امضوا على هذا الحال طيلة المدة المتبقية من أعمارهم .

رابعا: هدايا حكام بلاد العرب إلى ملوك آشور : بات من المعلوم أن نص الملك الآشوري شلمنصر الثالث الذي يؤرخ في العام (٨٥٣ ق.م) ، هو أقدم نص تاريخي مكتشف ورد فيه ذكر العرب ، ومن ثم فهو أول نص تحدث عن اتصال الآشوريين بالعرب أيضا[١٦٥] .كما ورد ذكر العرب في النصوص الآشورية اللاحقة بدءا بنصوص الملك تجلات

– بيلاسر الثالث وانتهاء بنصوص الملك آشوربانيبال[١٦٦] . ومما جاء في هذه النصوص ، التي تعد المصدر الأهم لدراسة علاقة الآشوريين مع العرب ، يمكن القول إن ملوك آشور تسلموا هدايا عدد من حكام البلاد العربية ، وهي كالآتي :

هدايا حكام سبأ إلى ملوك آشور :

ذكرت سبأ في النصوص الملكية الآشورية لأول مرة في أحد نصوص العام التاسع لحكم تجلات – بيلاسر الثالث (٧٣٦ ق.م) ، إذ أشير فيه إلى إن سبأ كانت من جملة الشعوب والقبائل العربية التي قدمت الجزية حينها إلى الملك الآشوري هذا من الذهب والعطور والإبل[١٦٧] .ويرجح إن سبأ المذكورة في هذا النص كناية عن السبئيين الذين كانوا مستقرين آنذاك في منطقة ديدان الواقعة في أعالي الحجاز[١٦٨] . ولعل ما قدموه إلى تجلات – بيلاسر الثالث كانت هدايا أكثر من كونها جزية ، ولاسيما إن الملك الآشوري لم يذكر في نصه هذا أنه غزا ديار السبئيين ، بل أشار أن سبأ وسائر الشعوب والقبائل العربية التي دفعت الجزية له كانت تسكن في الغرب في أماكن بعيدة[١٦٩] ، أي إلى الغرب من بلاد آشور في بادية الشام حيث يصعب الوصول إليها[١٧٠] .وعلى أي حال ، فأول حاكم سبئي أشير له في نص تاريخي أنه أرسل ما يمكن عدها هدايا إلى ملك آشوري ، هو يثع آمر. فسبق وذكرنا إن الملك الآشوري سرجون الثاني أفاد في نصه الذي يرجع إلى عام ٧١٥ ق.م ، بتسلمه من هذا الحاكم وفرعون مصر والملكة شمسي ، الذهب والأحجار الكريمة والحبوب والعاج والأبنوس والمواد العطرية والخيول والجمال وعدها بمثابة جزية .ولكن بات من المرجح بعد عثور البعثة الألمانية على النقش الآشوري – الذي سنأتي على ذكر نصه – إن يثع آمر الوارد اسمه في هذا النص هو المكرب السبئي يثع آمر بين ، الذي يرجح أنه حكم ما بين عامي (٧٢٠ – ٧٠٠ ق.م) [١٧١] . وهذا يعني أن ما قدمه

هذا المكرب إلى الملك الآشوري كانت هدايا ولم تكن جزية . فمن المعلوم إن النفوذ الآشوري لم يصل إلى أيا من أرجاء اليمن إطلاقا . وقد تزامن هذا مع نجاح سرجون الثاني بتأمين طرق المواصلات التجارية المارة ببلاد الشام وكانت بعض هذه الطرق تصل إلى اليمن وحضرموت ، وذلك نتيجة لحملته آنذاك ضد القبائل العربية الساكنة في قلب بادية الشام[١٧٢] .وهذا ما يقودنا للاعتقاد إن هذه الهدايا كانت لضمان تدفق البضائع السبئية إلى بلاد الشام ولاسيما إلى غزة ، التي كانت مخزنا لتصريف السلع اليمنية في حوض البحر المتوسط[١٧٣] ، أي لكي يسمح الآشوريون بعبور قوافل التجارة السبئية إلى بلاد الشام . وكذلك ليوفروا الحماية لها من هجمات البدو في المناطق الواقعة تحت النفوذ الآشوري في البلاد أو المحاذية لها[١٧٤] ، إذ ربما كان هناك تحالف بين آشور وسبأ ضد البدو الجامحين من أبناء الشمال[١٧٥] .والى جانب يثع آمر بين ، فقد عثرت بعثة ألمانية على نقش آشوري يفيد بتسلم الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق.م) هدايا من الملك السبئي (كريبي أيلو) ، احتوت على أصناف عدة من الأحجار الثمينة ولاسيما الأحجار الكريمة ، فضلا عن أفخر أنواع الطيوب والذهب والفضة . وهي بمجملها بضائع اشتهر سكان اليمن قديما بالاتجار فيها . وقد سخر الملك الآشوري هذه الهدايا لوضع حجر أساس وتزين المعبد (بيت – اكيتو) الذي كان يروم بناءه للاحتفال فيه بعيد رأس السنة والأعياد الأخرى[١٧٦]. فقد جاء في هذا النقش : ((وعند وضع الأساس لبيت اكيتو قدمت الهدية التي أمر كريبي أيلو ملك سبأ بإحضارها وهي عبارة عن أحجار كريمة وروائح وأحجار . ومن هذه الهدية إنا وضعت الأحجار والروائح في أساسه أساس بيت اكيتو ... إنا فضة وذهبا وحجر ساندو وحجر أوكنو وحجر خلالو وحجر مشجرو وحجر أودش وحجر أودشش

وسكبت ماء النهر))[١٧٧] . وكريبي أيلو المذكور في هذا النقش هو المكرب السبئي الشهير كرب أيل بين ، الذي كان معاصرا لسنحاريب ، وقد نعته الأخير بالملك لأن الآشوريين لم يكن يعرفوا لقبه الرسمي أو لم يهتموا بذلك(١٧٨) . ويبدو أنه أرسل الهدايا إلى الملك الآشوري مع القوافل المتوجهة إلى بلاد الشام عن طريق غزة أو طريق مكة فالبادية إلى بلاد الرافدين[١٧٩] . ومن المرجح إن السبب الذي دفع هذا المكرب لذلك ، هو السبب نفسه الذي جعل سلفه (يثع آمر بين) يقدم الهدايا إلى سرجون الثاني وتقدم ذكره ، أي لتأمين مصالح بلاده التجارية مع بلاد الشام . وبالنظر إلى أن تجارة سبأ استمرت بالتدفق إلى بلاد الشام طيلة عهدي سرجون الثاني وسنحاريب ، بل وطيلة المدة المتبقية من العصر الآشوري الحديث – إذ لا يوجد ما يشير لنقيض ذلك – فهذا يعني الهدايا التي تناولناها في هذا المحور من البحث حققت الأهداف المتوخاة منها .

٥. هدايا شيخ قبيلة قيدار (حزائيل) إلى أسرحدون :لم يكن يرسل الهدايا إلى ملوك آشور الأمراء المستقلين فحسب ، فأحيانا كان يرسلها لهم الزعماء العرب التابعين لهم أيضا . فحزائيل شيخ قبيلة قيدار (عرب حوران) الذي مثل أمام الملك الآشوري أسرحدون في مطلع عهده ليعلن عودته إلى السيادة الآشورية ثانية[١٨٠] ، بعد إن كان قد تمرد على سلفه سنحاريب وشارك في دعم أخر حركات التمرد البابلية ضده (٦٩٢ – ٦٨٩ ق.م) على الأرجح[١٨١] ، حمل له بهذه المناسبة هدايا كثيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة . وهذا ما اخبر عنه أسرحدون في نصه الآتي: ((أما حزائيل ملك بلاد العرب فان بهائي الذي يبعث الرهبة قد تغلب عليه واحضر إلي (هدايا) ذهبا وفضة وأحجارا كريمة وقبل قدمي))[١٨٢] .ويبدو إن هذه الهدايا ، التي يرجح أن حزائيل أراد من خلالها

استرضاء أسرحدون لكي يعفو عنه ويستجيب لالتماسه بإعادة تماثيل معبودات عرب البادية التي كان سنحاريب قد سلبها في أثناء حملته سنة ٦٨٩ ق.م على دومة الجندل[١٨٣] ، كان لها أثر ما في المعاملة الحسنة التي حظي بها حزائيل من ملك آشور هذا ، ولاسيما أنها كانت عينة من الجزية التي فرضها الأخير على حزائيل[١٨٤] . فأسرحدون لم يكتف بالعفو عنه والاستجابة لالتماسه هذا فحسب ، بل وقبل أن يسلمه التماثيل تلك أصلح ما لحق بها من ضرر خلال وجودها في نينوى أيضا بعد إن نقش عليها أسمه وعبارات أخرى تظهر عظمة المعبود آشور[١٨٥] .وهذا ما أشار له نصه الأتي: ((من ادومو حصن العرب الذي سبق لسنحاريب ملك آشور (والدي) إن استولى عليه وكان قد حصل على غنائم ممتلكاتهم وتماثيل إلهتهم وملكة العرب اسكالاتو وأخذهم جميعاً إلى بلاد آشور ، حزائيل ملك العرب جاء إلى نينوى عاصمتي محملاً بالهدايا الثمينة وقبل قدمي وتوسل إلي إن أعيد تماثيل ألهته فعطفت عليه وأصلحت تماثيل عترسماين ، داي ، نوخاي ، رولدايو ، أبيريلو وعتر– قرمي إلهة العرب وأرجعتها له بعد إن نقشت عليها كتابات تشهد بالمنزلة العالية لسيدي الإله آشور وأسمي)) [١٨٦] .

٦. هدايا بقية حكام الشرق الأدنى القديم إلى ملوك آشور: وفضلا عن الهدايا التي تبادلها ملوك آشور مع ملوك وأمراء منطقة الشرق الأدنى القديم المار ذكرهم ، فقد تسلم هؤلاء الملوك هدايا من حكام آخرين في المنطقة وخلال العصر الآشوري الحديث حصرا ، وهي على حسب تسلسلها الزمني :

٧. هدايا ملوك دلمون إلى ملوك آشور:ارتبط سكان بلاد الرافدين مع دلمون (البحرين) بعلاقات وثيقة منذ عصر فجر السلالات السومرية (٢٩٠٠ – ٢٣٧١ ق.م) على أقل تقدير ولاسيما في المجال التجاري[١٨٧].ولكن أول إشارة لهدايا

بين ملوك هذين البلدين ، تعود إلى العصر الآشوري الحديث . فقد ذكر الملك الآشوري سرجون الثاني في نصوصه ، أن ملك دلمون (اوبيري) أرسل بالهدايا الثمينة له من دون الإفصاح عن محتواها . وقد عزا ذلك لسماع ملك دلمون هذا عن قدرة آشور وعظمتها وجلال عظمته[١٨٨] ، مما يفسر لنا سعي اوبيري لكسب صداقة الآشوريين من أجل درء خطرهم عن بلاده . فهو لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد نجاح سرجون الثاني في أنتزاع بابل وأرض البحر من قبضة الزعيم الكلدي (مردوخ – ابلا – أدينا الثاني) ، وذلك ما بين عامي (٧١٠ – ٧٠٩ ق.م)[١٨٩] ، أي بعدما أصبح الآشوريون قريبين جدا من دلمون . فالرقعة الجغرافية لأرض البحر لا تقتصر على الاهوار والبحيرات الواقعة على طول المجرى السفلي لوادي دجلة والفرات إلى الشمال من الخليج العربي فحسب ، وإنما تضم السواحل الغربية للخليج العربي حتى دلمون أيضا[١٩٠].

ويمكن عد ما ذكره الدكتور جواد علي[١٩١] بشأن المبرر لهذه الهدايا ، سبب أخر لها . فمما قاله بهذا الخصوص يفهم إن ما دفع اوبيري لتقديمها إلى الملك الآشوري ، كان لضمان ديمومة صلات بلاده التجارية الوثيقة مع القسم الجنوبي لبلاد الرافدين .وبما انه لم يرد ما يشير لقيام سرجون الثاني بتهديد دلمون أو تعرضه لمصالحها التجارية تلك ، فهذا يعني أن الهدايا التي تلقاها من حاكمها هذا حققت النتائج المرجوة منها .

والى جانب سرجون الثاني ، يمكن القول أن الملك الآشوري سنحاريب هو الأخر تسلم هدايا من أحد ملوك دلمون أيضا . فبعد قيام سنحاريب بتدمير بابل سنة ٦٨٩ ق.م[١٩٢] ، أرسل رمادا من مخلفات حريقها إلى دلمون لحمل سكانها على الخضوع له[١٩٣] ، فأصيبوا بالخوف والرعب وسارعوا لإرسال الهدايا له من كنوز بلادهم ، من بينها أدوات وعربة نحاسية مع مجموعة من الصناع[١٩٤]

.وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من نص سنحاريب الآتي: ((بعد إن دمرت بابل ... وصلت أرضها (ترابها) .. إلى غاية دلمون . رآها الديلمونيون فنزل رعب وخوف آشور عليهم فجلبوا كل كنوزهم . مع كنوزهم أرسلوا الحرفيين الذين جمعوهم من أرضهم من ذوي العصابات وعربة من النحاس وأدوات نحاسية معمولة بحرفية من إعمالهم في أرضهم)) [١٩٥] .وعلى الرغم من إن هذا النص لم يفصح عمن أرسل هذه الهدايا من حكام دلمون وعد من بعثها سكان المدينة ، فمن المرجح أن من أرسلها هو أحد ملوك دلمون الذي لم يرد أسمه في المصادر التاريخية ، إذ تقدم ما يدل صراحة على أن دلمون كان يحكمها نظام ملكي خلال عهد سرجون الثاني ، أي قبيل اعتلاء سنحاريب العرش الآشوري بوقت قصير . ومن الواضح إن الملك الآشوري اقتنع بهذه الهدايا وعدها بمثابة اعترافا من دلمون بسيادته عليها ، إذ ليس ثمة ما يشير لقيامه بتهديدها ثانية .

٩ . هدية شيخ قبيلة الكمبولو (بيل – اكيشا) إلى أسرحدون :الكمبولو هي أحدى القبائل الآرامية وتقع منازلها على الضفة اليسرى لوادي دجلة الجنوبي[١٩٦] ، على حدود بابل مع بلاد عيلام[١٩٧] . وبناء على المعلومات المتوفرة فقد خضعت هذه القبيلة للآشوريين للمرة الأولى في أواخر عهد الملك الآشوري سرجون الثاني[١٩٨]. وفي مطلع حكم أسرحدون وتحديدا في نحو عام ٦٧٨ ق.م ، تمرد حاكم الكمبولو (بيل – اكيشا) على السلطة الآشورية . ولكنه وحال سماعه بتقدم القوات الآشورية نحوه آنذاك ، توجه إلى الملك الآشوري وهو يحمل له وزيادة على الجزية ثيران عظيمة كهدية له[١٩٩] ، مما كان عاملا مباشرا في صفح الأخير عنه وإعلانه الثقة به وهذا ما اخبر عنه أسرحدون بالقول : ((بيل – اكيشا ابن بوناني الكمبولي الذي يسكن .. في الماء ومستنقعات

القصب مثل السمكة – بأمر آشور سيدي شعر بالخوف وبمبادرة خاصة منه جلب الضريبة وهدايا ثيران سمينه .. وقبل قدمي . أشفقت عليه وأعلنت ثقتي به))[٢٠٠] .ومن الهدية المار ذكرها ، يتضح حرص الحاكم الكمبولي على التودد للملك الآشوري وإرضاءه ، فالثيران تعد من الحيوانات الرئيسة التي كانت – ولا زالت – تربى في مناطق الاهوار والمستنقعات في جوب بلاد الرافدين ومن بينها منطقة الكمبولو ، لكونها تستطيع التكيف مع البيئة هناك ولها فوائد متعددة.

١٠. هدايا الأمراء الميديين إلى أسرحدون :أول ملك آشوري تحدث صراحة عن إخضاعه للميديين[٢٠١]، هو ادد – نيراري الثالث[٢٠٢]، علما بأن سلفه شلمنصر الثالث كان أقدم ملك آشوري كانت له صلة بالميديين ، إذ أشار في نصه الذي يعود إلى العام الرابع والعشرين لحكمه (٨٣٦ ق.م) لقيامه بمهاجمتهم ومن دون ذكر تفاصيل أضافية عن ذلك(٢٠٣) .وقد جاءت الهدايا موضع البحث على إثر الاهتمام المتزايد الذي أظهره الملك الآشوري أسرحدون بشؤون ميديا[٢٠٤]، وذلك للحيلولة دون خروج الميديين تماما عن السلطة الآشورية ، إذ أن خضوعهم لآشور ومنذ عهد سنحاريب كان أسميا فحسب[٢٠٥] . فنتيجة للحملة التي وجهها أسرحدون قبيل عام ٦٧٦ ق.م ضد المناطق الميدية الواقعة فرب الصحراء الملحية[٢٠٦] ، وأسفرت عن إخضاعه لاثنين من أبرز أمراءها (شدار بارنا ، ايباردو)[٢٠٧] ، توجه آنذاك ثلاثة من كبار أمراء ميديا (اوبيس ، زنسانا ، راماتايا) إلى نينوى حاملين معهم إلى الملك الآشوري هدايا متنوعة وفي مقدمتها الخيول واللازورد[٢٠٨]، وطلبوا منه المساعدة في استعادة سلطاتهم التي خسروها في حركات تمرد اندلعت ضدهم .وهذا ما أفصح عنه نص أسرحدون الآتي : ((اوبس زعيم مدينة بارتاكو وزنسانا زعيم مدينة بتاكو وراماتايا زعيم مدينة اوركازابانو الميديين ...

الخوف من الإله آشور سيدي جعلهم يجلبون خيول قوية واللازورد وكل مالدى جبالهم إلى نينوى عاصمتي وقبلوا قدماي وبسبب الزعماء الآخرين الذين رفعوا أيديهم ضدهم توسلوا بجلالتي وطلبوا مني إن أكون حليفهم))[٢٠٩] ويبدو من أصناف الهدايا المذكورة في هذا النص ولاسيما الخيول ، حرص الزعماء الميديين على تحفيز الملك الآشوري للتدخل لصالحهم . فبلاد ميديا كانت تعد من المصادر المهمة لتجهيز الجيش الآشوري بالخيول خلال العصر الآشوري الحديث[٢١٠] ومن الواضح أن هذه الهدايا مما شجع أسرحدون على تلبية نداءاتهم . فقد أضاف الملك الآشوري في نصه المتقدم الذكر ، بأن الحاميات الآشورية المرابطة قرب المناطق التابعة لأولئك الحكام ، قامت وبناء على أوامره بتقديم المساعدة لهم وإعادتهم لحكم مناطقهم ، مما ترتب عليه أن أصبحوا يدفعون الجزية السنوية لآشور[٢١١] .

١١. هدايا ملك أورارتو (ساردر الثالث) إلى آشوربانيبال:اتسمت العلاقة بين بلاد آشور ومملكة أورارتو خلال القسم الأكبر من العصر الآشوري الحديث بالعداء والندية . فمنذ مطلع حكم شلمنصر الثالث وحتى أواخر عهد سرجون الثاني ، تنافست هاتين القوتين العظيمتين للسيطرة على الطرق التجارية الحيوية الواقعة بين سورية والأناضول والطرق التجارية الأخرى القادمة من الهند والصين عبر إيران[٢١٢] ، وتخلل ذلك وقوع الكثير من المعارك بينهم[٢١٣] .

وعلى الرغم من أن العلاقات الآشورية الأورارتية بدأت بالتحسن نسبيا منذ بداية حكم سنحاريب[٢١٤] ، وتطورت أكثر خلال عهد أسرحدون[٢١٥] ، فأول هدايا تخللت هذه العلاقات الايجابية بين البلدين هي التي تسلمها الملك الآشوري آشوربانيبال من نظيره الأورارتي ساردر الثالث (٦٤٥ – ٦٢٠ ق.م) ، وذلك سنة ٦٤٥ ق.م على

الأرجح[٢١٦] .وقد أشير لها من دون ذكر مضمونها في نص آشوربانيبال الآتي : ((عشتار دوري (ساردر الثالث) ملك أورارتو ... وعندما علم ... بمآثري العظيمة التي منحتها لي الآلهة ، وكالابن الذي يرسل لأبيه . بهذا السلوك أرسل لي رسالة يقول فيها: (تحياتي إلى الملك سيدي) . في خوف وخضوع أرسل الهدايا الكثيرة التي وضعها أمامي)) [٢١٧] .ويوحي النص في أعلاه إن هذه الهدايا جاءت على خلفية الانتصارات العظيمة التي أحرزها الملك الآشوري على خصومه في المدة الماضية من عهده[٢١٨] ، وكان أخرها انتصاره الحاسم سنة ٦٤٥ ق.م على القبائل العربية في بادية الشام[٢١٩] ، التي أسهمت بقوة في دعم الثورة البابلية ضده (٦٥٢ – ٦٤٨ ق.م)[٢٢٠] .وهذا بدوره يدل على حسب اعتقادنا على اعتراف ملك أورارتو بكون آشوربانيبال أقوى وأعظم حكام منطقة الشرق الأدنى القديم وصاحب النفوذ الأكبر فيها آنذاك . كما يبدو أن هذه الهدايا جاءت لتعزز المساعي السلمية التي بذلها الملك الأورارتي السابق روساس الثاني (٦٨٠ – ٦٤٥ ق.م) للتقارب مع آشوربانيبال وكسب صداقته ، إذ إن روساس الثاني كان قد بعث من أجل ذلك وفدا إلى الملك الآشوري ، استقبله الأخير في اربيل[٢٢١] ، وذلك حوالي سنة ٦٤٧ ق.م[٢٢٢] .هذا ويستدل من النص المار ذكره ، أن آشوربانيبال عد هدايا ساردر الثالث مؤشرا على خضوع الأخير له ، مما يعني أن هذه الهدايا قد أفضت لتعزيز العلاقات الآشورية الأورارتية على ما يبدو .

الخاتمة :

توصل بحثنا الموسوم ((الهدايا المتبادلة ما بين ملوك آشور وسائر حكام الشرق الأدنى القديم دراسة تاريخية تحليلية)) إلى جملة من النتائج ، التي يمكن إجمالها بالآتي :

١- باستثناء الهدايا التي تبادلها البعض من ملوك آشور وحكام مصر

خلال العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١ – ٩١١) ، فسائر الهدايا موضع البحث تعود إلى العصر الآشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م) فحسب . ويمكن أن نعزو ذلك لكون الآشوريين أصبحوا في معظم فترة العصر الأخير – وعلى عكس ما كان عليه الحال في جل فترة العصر السابق – القوة المتنفذة الأولى في منطقة الشرق الأدنى القديم ، ومن ثم فسائر حكام المنطقة تلك ممن لم يخضعوا لسلطتهم ومن التابعين لهم أيضا كانوا يجدون أنفسهم ملزمين – وللأسباب التي سنذكرها في هذه الخاتمة الموجزة – بتقديم الهدايا آنذاك إلى ملوك آشور بين الحين والأخر ، وكان الأخيرون يرسلون لهم الهدايا أيضا إذا اقتضت مصلحتهم ذلك .

٢- تدل الهدايا المتبادلة على حرص مباديلها على أن تنال هداياهم أعجاب ورضا بعضهم البعض ، إذ تتكون بمجملها بالدرجة الأساس من أجود وأهم ما كان متوفر في بلدانهم من ثروات ، مثل المنتجات الصناعية الفاخرة والأحجار الكريمة وكذلك الأخشاب والمعادن الثمينة ، ولاسيما معدني الذهب والفضة ، ناهيك عن الكثير من الحيوانات التي بعضها كان له فوائد متعددة وبعضها الأخر كان يبدو لناظريه غريبا في الشكل والمظهر .والى جانب ما تقدم ، فبعض حكام الساحل الفينيقي وبلاد الأناضول أهدوا بناتهم إلى اثنين من ملوك آشور (آشوربانيبال ، أسرحدون) أيضا.

٣- تعد العوامل السياسية في مقدمة الأسباب التي كانت تدفع ملوك آشور وسائر حكام منطقة الشرق الأدنى القديم لتبادل فيما بينهم . وهي تختلف باختلاف المكانة السياسية لهؤلاء الحكام وترتبط بالمقام الأول بمدى قوة الآشوريين وحجم سلطانهم . فالحكام المستقلون وإذا ما أصبح الآشوريون القوة الأعظم في المنطقة ، على غرار ما حصل في عهد الملك الآشوري تجلات – بيلاسر الأول ومعظم فترة العصر الآشوري

الحديث ، فهم كانوا يرسلون الهدايا آنذاك إلى ملوك آشور إما لخشيتهم من خطرهم ، أو لكسب صداقتهم من أجل الحصول على المساعدة منهم لمواجهة القوى الخارجية الأخرى التي تهددهم ، أو للتفرغ للتصدي لهذه القوى بمفردهم .أما الحكام التابعين لآشور ، فما كان يدفع المتمردين منهم لذلك هو للمساعدة في نيل عفو الملوك الآشوريين عنهم . أما سواهم مثل أمراء أرواد ، فقد لاحظنا في أثناء البحث إن كل منهم كان يطمح من وراء ما قدمه من هدايا إلى آشوربانيبال تسلم عرش أرواد .وبالنسبة إلى ملوك آشور وإذا ما كانوا أقل قوة وشأنا من بعض الملوك الآخرين في منطقة الشرق الأدنى القديم ، على ما كان عليه الحال في جل فترة العصر الآشوري الوسيط ، فيبدو إن ما حدا بهم آنذاك لإرسال الهدايا إلى هؤلاء الملوك ، كان لكسب صداقتهم وذلك إما للحصول على دعمهم لمواجهة خطر خارجي يهدد بلادهم ، أو لضمان تغاضيهم عن مشاريعهم التوسعية في المنطقة وتعزيز مكانتهم السياسية فيها . كما أنهم أحيانا وأن فاقوا سائر حكام المنطقة تلك في القوة وسعة النفوذ ، فقد كانوا يتبادلوا الهدايا مع من يبدي رغبة جادة بالسلام معهم ، وذلك لتحفيزه على عدم التدخل مجددا في شؤون إمبراطوريتهم . وما دفعهم لتقديم الهدايا إلى الحكام الخاضعين لسلطتهم ، هو لضمان ولاءهم بالدرجة الأساس .

ولا تخلو الهدايا المتبادلة من دوافع اقتصادية أيضا ، على غرار الهدايا التي تبادلها بعض ملوك آشور وحكام مصر ، والهدايا التي أرسلها عدد من حكام سبأ ودلمون إلى ملكي آشور (سرجون الثاني ، سنحاريب) .

٤-حققت جل الهدايا موضع البحث الأهداف المرجوة منها ، ولاسيما التي تسلمها ملوك آشور من سائر حكام منطقة الشرق الأدنى القديم ، سواء كان ذلك من خلال تهيئتها الأجواء المناسبة لإحلال السلام في هذه المنطقة في أوقات متفرقة من

العصرين الآشوريين الوسيط والحديث ، أو من خلال إسهامها الفاعل والمباشر في ديمومة حركة التبادل التجاري آنذاك بين بعض بلدان هذه المنطقة أيضا ، بل إن الهدايا التي تبادلها عدد من ملوك آشور ومصر آنذاك مهدت لنشوء علاقات تجارية بين بلديهما أيضا . هذا فضلا عن أن الهدايا التي تسلمها ملوك المملكة الآشورية الحديثة من الحكام المتمردين على سلطتهم حصرا ، كانت إحدى العوامل الرئيسة لعفوهم عن هؤلاء الحكام ، مثل أسو وحزائيل وبيل – اكيشا وبعلو الأول وغيرهم .وهذا كله إنما يدل على أن ملوك آشور كانوا يميلون للسلام مع الشعوب الأخرى بما فيها تلك الشعوب التي كانت تنازعهم السيطرة على مناطق نفوذهم في الخارج ، وأنهم كانوا يتحاشون إراقة الدماء كلما كان ذلك ممكنا أيضا .

٥- كما كان لعامة هذه الهدايا تأثيرات حضارية أيضا ، إذ ساعدت على تعريف بلاد آشور وسائر بلدان الشرق الأدنى القديم بثروات بعضها البعض المتقدم ذكرها ، مما أسهم في التفاعل الحضاري ما بين آشور وتلك البلدان .وما هو أكثر من ذلك ، فالبعض من هذه الهدايا أسهمت في ترك بصمات بارزة على المعالم والشواهد الأثرية الآشورية والمصرية القديمة أيضا . فقد مر بنا في أثناء البحث أن الملك الآشوري آشور – نادين _ أخي الثاني زين واجهة قصره بالذهب الذي أهداه له الفرعون أمنحوتب الثالث ، وأن نظيره شلمنصر الثالث صور الهدايا التي أرسلها له الفرعون تاكلوت الثاني على المسلة السوداء . كما مر بنا كيف أن الملك الآشوري سنحاريب أستخدم هدايا المكرب السبئي (كرب أيل بين) لتزيين معبده ، الذي كان مخصصا للاحتفال بالأعياد ولاسيما عيد رأس السنة ، وأن الفرعون شاباكا رسم على آثاره ما يعبر عن تلقيه الهدايا من الملك الآشوري سرجون الثاني.

الهوامش

١- حول محمل هذه الآراء ، ينظر : طالب منعم حبيب الشمري ، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٩٦ ، صص ١ -٦ .

٢- عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٧ .

٣- عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، الموصل ، ١٩٩٣ ، ص٧٥ .

٤- نسرين احمد عبد ، الهدايا المنقولة عند الآشوريين ، بحث منشور في مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، مج١٩ ، ع١ ، ٢٠١٢ ، ص ص١٧٥ ، ١٨٠ .

٥- علي ياسين الجبوري ، قاموس اللغة الأكدية العربية ، ط١ ، أبو ظبي ، ٢٠١٠ ، ص٦٤٣ .

٦- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٤٨٨ ؛ عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج١ ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص٢٠٧ .

٧- عامر سليمان ، العراق ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، ترجمة خالد اسعد واحمد غسان ، ط١ ، دار أرسلان ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص٥٥ . والميتانيون من الأقوام الهندو أوربية ويرجح أنهم قدموا من سهول روسيا الجنوبية إلى أرمينيا مطلع الألف الثالث قبل الميلاد ، وأقاموا في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد مملكة لهم في أعالي ما بين النهرين جل سكانها من الحوريين ، الذين لا يعرف على وجه التحديد أصولهم العرقية . وقد بلغت مملكتهم أوج اتساعها خلال هذا القرن أيضا ، إذ امتدت آنذاك من بحيرة وان إلى نهر الفرات ومن جبال زاكروس إلى الساحل السوري ، ولكن سرعان ما مزقتها الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية في القرن التالي وضمت تدريجيا إلى القوى المتنفذة في الشرق الأدنى القديم ولاسيما بلاد آشور ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع : جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان ، مراجعة فاضل عبدالواحد ، بغداد ، ١٩٨٤ ، صص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ – ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ؛ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة خالد اسعد واحمد غسان ، ط١ ، دار أرسلان ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، صص ٩٣ -٩٤ ، ٩٧ – ٩٩ .

٨- طه باقر ، مقدمة ، ج ١ ، ص٤٨٤ ؛ سليمان ، عامر ، العراق ، ج١ ، ص٢٠٧ .

٩- حول محمل الأوضاع السياسية لبلاد آشور خلال عصرها الوسيط ، ينظر : طه باقر ، مقدمة ، ج١ ، صص٤٨٥ – ٤٩١ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، صص٥٥ – ٩٤ .

١٠- هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٥.

١١- إذ كون تحوتمس الثالث إمبراطورية امتدت من أعالي نهر الفرات شمالا حتى مدينة نباتا عند الشلال الرابع جنوبا ، يراجع : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص٥١٤ .

١٢- عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص ص١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ .

١٣- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، ص ص٤٥٧ ، ٤٥٨ .

١٤- حول الحملة الأولى لتحوتمس الثالث على بلاد الشام ، ينظر :

Mcneill,W.H.,and Sidlar.J.W.,The Ancient Near East,London,1968,pp.7-11 .

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، صص ٤٤١ – ٤٤٧ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٢ ، ص ص٤٠ ، ٤٧ .

١٥- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي سنة ٥٣٢ ق.م ، ترجمة حسن كمال ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص١٩٥ .

١٦- للإطلاع على إحداث هذه الحملة ، يراجع :

London,1920,pp.191-192.

George,R.M.A.,and Arthur,G.M.A.,Ancient Egypt،

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، صص ٤٧٥ – ٤٧٧ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص ص٤٩ – ٥٧ .

١٧- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، ص٤٨١ .

١٨- سليم حسن ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٤٢٩ . وآشور – رابي الأول هم نجل الملك الآشوري أنليل – ناصر الأول ، وقد تولى العرش بعد سلفه (آشور – شدوني) وتسلسله الخامس والستون في قائمة ملوك آشور ، ينظر : نائل حنون ، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص١٢٣ .

١٩- Olmstead,A.T., History of Assyria,university of Chicago,1960,pp.35,36

20 – سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، ص ص٤٥٢ ، ٤٧٧ .

٢١– هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٥ .

٢٢–op.cit,pp.35,36

George,R.M.A.,and Arthur,G.M.A.,op.cit,p.193; Olmstead,A.T،.

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، ص ص٤٧٨ ، ٤٨١ .

٢٣– إذ أرسل الفرعون ثمانية حملات أخرى إلى بلاد الشام ، وذلك إما لتوسعة نفوذه في البلاد وقمع حركات التمرد فيها التي كانت بتحريض من الميتانيين ، أو لتأكيد سطوته على البلاد من خلال جمع الجزية من حكامها ، للمزيد من التفصيلات عن هذه الحملات والغرض منها ، يراجع : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٤ ، ص ص٤٨٤ – ٤٩٧ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص ص٥٢ – ٥٣ .

٢٤– Olmstead,A.T.,op.cit,p.39

وآشور – نادين – أخي الثاني هو ابن الملك الآشوري (آشور – ريم – نشيسشو) وقد حكم من بعده وتصنيفه الحادي والسبعون ضمن قائمة ملوك آشور ، ينظر : نائل حنون ، حقيقة السومريين ، ص١٢٣ .

٢٥–Smith,S.,Early history of Assyria to 1000 B.C,London,1928,p.240 ؛ ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص٥٧ . وللإطلاع على نص هذه الرسالة ، يراجع : The Tell Al Amarna Tablets,London,1939,vol.1,letter.16,pp.59–63.

Mercer,S.A.B.،

٢٦– هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٧ .

٢٧– Smith,S.,op.cit,p.240 ; Olmstead,A.T.,op.cit,p.39

28 – ومما يذكر أن هذه الرسائل قد كتبت على ألواح من الطين باللغة الأكدية والخط المسماري ، مما يدل على أن هذه اللغة أصبحت لغة المخاطبات الدبلوماسية في العالم المتحضر آنذاك ، ينظر : جاردنر ألن ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ص٢٣٢ – ٢٣٣ ؛ هاري ساكز ، البابليون ، ترجمة سعيد الغانمي ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص١٧٣ .

وللاطلاع على هذه الرسائل ، يراجع : Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1–2

٢٩- وهذا يتضح مما ورد في الرسائل التي تبادلها الفرعون أمنحوتب الثالث مع الملك الكاشي (كادشمان – انليل الأول) والرسائل التي بعثها له الملك الميتاني (توشراتا) وملك ألاشيا (قبرص) . هذا فضلا عما جاء في الرسالة التي أرسلها الملك الحيثي (شوبيلوليوما) إلى الفرعون اخناتون ، للإطلاع على هذه الرسائل ، ينظر :

Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,letters .1-5,17-24,33-39,41,pp.3-.21,63-127,191-209

٣٠- Smith,S.,op.cit,p.240

-٣١

Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,leeter s.16,p.59;

Olmstead,A.T.,op.cit,p.39

32 - هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٨ . وحول هذه الرسالة ، يراجع ercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,letters.1 .5,pp.57-59

٣٣- هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٩,

٣٤- حول ثورة اخناتون الدينية وأثرها على السلطة المصرية على بلاد الشام خلال عهده ، ينظر : ألن جاردنر ، مصر الفراعنة ، ص ص٢٤٤ – ٢٥٨ .

٣٥- وهذا ما يلاحظ من الرسائل المرسلة إلى الفرعون اخناتون من الملك الكاشي (بورنا – بورياش الثاني) ونطيره الميتاني (توشراتا) والملك الحيثي (شوبيلوليوما) ، للإطلاع على هذه الرسائل ، يراجع :

Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,letters .7-11,27-29,41,pp.21-37,153-.181,201-209

٣٦- إذ عقد الفرعون تحوتمس الرابع معاهدة للسلام مع الملك الميتاني (ارتاتاما الأول) عززها بالزواج من ابنته ، ينظر :

Gelb,J.L.,Hurrians and Subarians,Chicago,1944,p.77

احمد فخري ، مصر الفرعونية منذ أقدم الأزمنة حتى ٣٣٢ ق.م ، مصر ، ١٩٥٧ ، ص٢٩٤ .

٣٧- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٥ ، ص٣٨٤ .

-٣٨

Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,letter. 16,p.61

39-

,vol.1,letter.16,pp.59-61

Ibid

هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٩ .

٤٠- هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٩ .

٤١-Oates,J.,Babylon ,London,1979,p.92

والحيثيون من الأقوام الهندو أوربية التي نزحت من موطنها الأصلي في سهول روسيا الجنوبية إلى بلاد الأناضول مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، وكونت لها في قلب هضبة الأناضول مملكة قوية في بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ضمت لنفوذها أجزاء كبيرة من شمال بلاد الشام ولاسيما خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد ، واستمرت قائمة إلى أن سقطت على يد قبائل شعوب البحر في نحو عام ١٢٠٠ ق.م ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع :

.Smith,S.,op.cit,pp.210-211

جورج رو ، العراق القديم ، صص ٣٠٧ ، ٣١٥ - ٣١٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٩ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٥٣ .

٤٢- فقد أخضع الحيثيون لنفوذهم آنذاك مناطق واسعة في بلاد الشام كانت تابعة لمصر مثل قادش وأوغاريت والمدن المطلة على نهر العاصي وفي مقدمتها امورو ، بل ومدوا نفوذهم في أواخر عهد اخناتون إلى جبال لبنان أيضا ، وذلك بالقوة تارة وبالوسائل السياسية تارة أخرى ، للمزيد من التفصيلات ، ينظر : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٥ ، صص٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ؛ هورست كلينغل ، تاريخ سورية السياسي (٣٠٠٠ - ٣٠٠ ق.م) ، ترجمة سيف الدين ذياب ، مراجعة وتعليق عبد مرعي ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٨ ، ص ص١٢٤ - ١٢٨ .

٤٣-Oates,J.,op.cit,p.92

44-Mercer,S.A.B.,op.cit,vol .1,letter.16,p.59

45 - إذ كان بورنا - بورياش الثاني قد بعث رسالة إلى اخناتون طلب منه فيها عدم استقبال الوفد الذي أرسله آشور - اوباليط الأول ، بدعوى إن الآشوريين كانوا من أتباعه ، يراجع : هاري ساكز ، البابليون ، ص١٧٧ .

وللإطلاع على هذه الرسالة ، ينظر : Mercer,S.A.B.,op.cit,vol.1,letter. 46-9,pp.29-31

محمود الأمين ، الكاشيون (١٥٣٠ - ١١٦٠ ق.م) ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، مج١٦ ، ١٩٦٣ ، ص١٠٦ .

٤٧-Mercer,S.A.B.,op.cit,vol .1,letter.16,p.63

٤٨- إذ امتدت حدود إمبراطوريته من بابل جنوبا إلى البحر الأسود شمالا ووصلت غربا إلى البحر المتوسط ، للمزيد من التفصيلات عن المنجزات العسكرية للملك الآشوري تجلات - بيلاسر الأول ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,Ancient Records of Assyria and Babylonia, New York, 1968, vol.1, Nos.221-248,260-266,270-314,318-337.

هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص ص٨١ – ٨٦ ، ٨٩ .

٤٩- إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ١٩٥٨ ، ص٢٥٤ ؛ عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص١٦٠ .

٥٠- فقد فر رمسيس الثاني عشر على إثر ذلك إلى طيبة ، ليقضي السنوات السبع والعشرون المتبقية من حكمه حاكما لجنوب مصر فحسب فضلا عن بلاد النوبة ، يراجع : إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٥٢ .

٥١- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧٠ ؛ إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٥٢ ؛ عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص١٦٠ .

٥٢- Grayson,A.K.,Assyrian Rulers of the early first Millennium B.C,1114-859 B.C,(RIMA),vol.11,Toronta,1991,p.98 .

عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص٣٦٢ .

٥٣- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٤٣٨ .

٥٤- للإطلاع على نجاح الملك الآشوري تجلات – بيلاسر الأول في إخضاع ممالك الساحل الفينيقي ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.302 .

هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص٨٦ .

٥٥- عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤١٢ .

٥٦- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧٠ ؛ إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٥٤ ؛ عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص١٦٠ .

٥٧- الحياة اليومية في العراق القديم ، ترجمة كاظم سعد الدين ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص٤٤ .

٥٨- حول هذه الفترة ، يراجع : عامر سليمان ، العراق ، ج١ ، صص٢١٠ – ٢١١ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، صص٩١ – ٩٣ .

٥٩- للإطلاع على طبيعة الأخطار التي شكلها الآراميون والقبائل الجبلية على بلاد آشور ونجاح ادد – نيراري الثاني في القضاء عليها ، ينظر : جورج رو ، العراق

القديم ، صص ٣٨١ ، ٣٨٢ – ٣٨٣ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، صص٩٦-٩٧,

٦٠- طه باقر ، مقدمة ، ج ١ ، صص٤٩٧ ،٤٩٨ ؛ عامر سليمان ، العراق ، ج١ ، صص ٣١٥ ، ٣١٦,

٦١- عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص ص١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

٦٢- نائل حنون ، حقيقة السومريين ، ص٢٥٩ .

٦٣-Olmstead,A.T.,op.cit,p.142

– إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ 64 ، ص٢١٣ .

٦٥- نائل حنون ، حقيقة السومريين ، ص٢٥٩ .

٦٦- Olmstead,A.T.,op.cit,p.142

نسرين احمد عبد ، الهدايا ، ص١٨٦ .

٦٧- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٤٥١ .

٦٨- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١١٨ . وحول إخضاع شلمنصر الثالث لمملكة السامرة ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.672.

جورج رو ، العراق القديم ، ص,٣٩٩

٦٩-Luckenbill,D.D., op.cit,vol.1,No.611

70-Ibid,vol.1,No.672; Olmstead,A.T.,op.cit,p.142

71- Olmstead,A.T.,op.cit,p.142

72- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.18

٧٣- Rogers,R.W.,A history of Babylonia and Assyria,New York,vol.11,p.328

جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص ٣٧١ ؛ إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٦٩ .

٧٤- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧١ ؛ إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ رمضان عبده علي ، تاريخ مصر القديم ، ج٢ ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٣٨٣ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٧٠ .

٧٥- احمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص٣٢٣ ؛ إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ص٤١٨ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٧٠ .

وللتعرف على إحداث هذا التمرد ودور مصر في دعمه ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 5; Grayson.A.K., Tiglat-pileser 111 to Sargon 11(744-705 B.C),CAH,vol.111,part 2,(The Cambridge Ancient History,20000),pp.88-89.

٧٦- حول إخماد سرجون الثاني لحركة التمرد ضده في سوريا وفلسطين سنة ٧٢٠ ق.م وانتصاره على القوات المصرية الداعمة لها ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 5; Grayson.A.K., Tiglat-pileser 111 to Sargon 11,CAH,VOL.111,part 2,p. 89.

٧٧- للتعرف إلى حركات التمرد تلك ونجاح سرجون الثاني في القضاء عليها ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .12-16; Grayson.A.K., Tiglat-pileser 111 to Sargon 11,CAH, vol.111,part 2,pp.94-95.

٧٨- Olmstead,A.T.,op.cit,p.212

جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧١ ؛ نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جوريجاني ، مراجعة زكية طبوزاده ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٤٤٤ .

٧٩- عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٧٢ .

٨٠- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٤٩١ .

٨١- عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٧٢ .

٨٢- احمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص٣٢٤ ؛ عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ص٤٢٢ .

٨٣- للإطلاع على حركة التمرد تلك وإخمادها من سرجون الثاني ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 62;Rogers,R.W.A.,op.cit,vol.11, pp.334-335.

٨٤- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧١ .

٨٥- Hall,H.R.,The Ethiopians and Assyrians in Egypt,CAH,vol.111,part 1,(The Cambridge Ancient History,20000),p.279.

٨٦- نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ص٤٤٤ .

-٨٧
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .62,63; Pritchard,J.B., Ancient near easteren Texts .,Prinston,1950,pp.284-285
نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ص٤٤٤ .

٨٨- وهذا ما أشار له الملك الآشوري في نصه الآتي: ((لقد فتحت ميناء مصر المسدود وجمعت (خلطت) الآشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم)) ، يراجع :
Tadmor,H., The campaigns of Sargon 11 of .Assur,J.C.S,X11,1958,P.34

٨٩- نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ص٤٤٤ .

٩٠- عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص١٧١ ؛ عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، ج٢ ، ص٤٧٢ .

٩١- إذ إن نخاو وسائر أمراء مصر التابعين لآشور أرسلوا إلى طهراقا ليخبروه عن عزمهم طرد الآشوريين من مصر وإعادته لحكمها ثانية مقابل اقتسامه السلطة معهم ، ولكن رسائلهم وقعت بيد رجال الدولة الآشورية العاملين في مصر فالقوا القبض عليهم وأرسلوهم مكبلين بالأغلال إلى نينوى ، ينظر:
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .772-773; Pritchard,J.B.,op.cit,p.294; Grayson,A.K., "Assyria 668-635 B.C:The reign of Ashurbanipal",CAH,vol.111,Part .2,p.144

-٩٢
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 774; Olmstead,A.T.,op.cit,p.416

-٩٣
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 774

94 - سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٥٥٣ .

٩٥- وتعد هذه القلادة جزء مهم من المكافآت الملكية التي عرفت في مصر القديمة بذهب الشرف ، للمزيد من التفصيلات عن هذه المكافآت ، يراجع : عبدالله عبدالرزاق عبدالحميد ، الأوسمة العسكرية الملكية في مصر الفرعونية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ص٨٣ - ١١٥ .

٩٦- عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ص٤٢٩ .

٩٧- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١٢ ، ص ص٥ ، ١٢,

٩٨- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧٦ ؛ نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ص٤٥٤ .

٩٩- ففي عام ٦٦٣ ق.م قام خليفة طهراقا على عرش النوبة (تانوت آمون) بهاجمة الدلتا وأوشك على بسط سيادته عليها بالكامل ، لولا الحملة السريعة التي قادها آشوربانيبال ضده ونجحت في رده على إعقابه ، ينظر :

Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.ll ,Nos.776 - 778; Rogers,R.W., A.,op.cit,vol.11, pp. 434-435;Grayson,A.K.,"Assyria 668_635B.C",CAH,vol.111,part. 2,p.144 .

-١٠٠Olmstead,A.T. ,op.cit,p.416

هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٥٠ .

-١٠١

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 776

102-

Grayson,AK.,"Assyria 668_635B.C",CAH,vol.111,part. 2,p.144

جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص٣٧٦ ؛ نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ص٤٥٤ .

١٠٣- وهي من مدن بلاد نائيري الرئيسة وتقع إلى الجنوب من بحيرة أورميه شمال شرق بلاد آشور ، يراجع :

حسن يوسف حازم ، الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م) أطروحة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص٥٦ .

-١٠٤

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .598,607;

Olmstead,A.T.,op.cit,pp.114,115

حسن يوسف حازم ، الملك الآشوري شلمنصر الثالث ، ص٥٩ .

-١٠٥

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 607

106 - وهم من الفريجيين ، الذين نزحوا من مقدونية وتراقية إلى بلاد الأناضول في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريبا ، ويرجح أنهم قد تعاونوا آنذاك مع مملكة تابال وقبائل الكاسكا في إسقاط العاصمة الحيثية حاتوشاش (بوغازكوي الحالية) .

وفي المدة الواقعة ما بين القرنين الثاني عشر والتاسع قبل الميلاد سيطروا على منطقة واسعة من هضبة الأناضول وقد دفعوا الجزية للآشوريين حينها مرات عدة . واستمرت دولتهم قائمة هناك حتى القرن السابع قبل الميلاد ، إذ انهارت على يد الكيميريين آنذاك ، للمزيد من التفصيلات ، ينظر : سامي سعيد الأحمد ، ورضا جواد الهاشمي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بغداد ، بلا . ت ، صص ٣٤٦ – ٣٥٠ .

١٠٧- تقع كادموخ عند الضفة الغربية لأعالي نهر دجلة ، يراجع : Olmstead,A.T.,op.cit,p.85

108 – هاري ساكز ، عظمة آشور ، صص٨٠ ، ٨١ . وللمزيد من المعلومات عن استعادة تجلات – بيلاسر الأول لمنطقة كادموخ من قبضة المشكو ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 221

١٠٩- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٣٦ .

١١٠- إذ تحالف ميتا مع حاكم كركميش (بيسيرس) ودفعه للعصيان على الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧١٧ ق.م ، ومن ثم وبعد نحو عامين من هذا استولى على بعض الحصون التابعة لولاية كيلكيا الآشورية قبل أن يستعيدها الآشوريون منه في العام نفسه . وفي عام ٧١٣ ق.م تحالف ميتا مع الملك الأورارتي (روساس الأول) وقاما بتحريض أحد حكام تابال الرئيسيين (امباريس) للتمرد على سرجون الثاني أيضا ، يراجع : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .8,16,25;Grayson.A.K.,Tiglat-pileser 111 to Sargon 11,CAH, vol.111,part 2,pp.90-93.

هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ص١٣٦ – ١٣٧ .

١١١- Rogers,R.W., A.,op.cit,vol.11, p.344

١١٢- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 71

هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٣٧ .

١١٣- Rogers,R.W., A.,op.cit,vol.11, p.344

سامي سعيد الأحمد ، ورضا جواد الهاشمي ، تاريخ الشرق ، ص٣٥٠ ؛ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٣٧ .

١١٤- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 71

115 – وهم أقوام من أصول هندو أوربية ، وقد جاءوا

من جنوب روسيا إلى بلاد الأناضول والأجزاء الشمالية الغربية من إيران في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وتسببوا باضطرابات كبرى في هذه المناطق منذ ذلك الحين وإلى إن نجح الملك الآشوري آشوربانيبال في إلحاق هزيمة قاسية بهم عند كيليكيا في نهاية النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد ، إذ أدى ذلك إلى تشتتهم واندماجهم بأقربائهم الاسكيثيين الذين كانوا موجودين آنذاك في الجهات الجنوبية الشرقية من بحيرة أورمية ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع : باقر ، طه ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ط١ ، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١١ ، صص٤٣٨ – ٤٣٩؛ أحمد أمين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص٤٩٧ .

١١٦- قاسم علي ، سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) ، رسالة ما جستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٩٣ .

١١٧- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٣٧ .

١١٨- حول هذه الحملة ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .148-178;

Olmstead,A.T.,op.cit,pp.229-242.

١١٩- فقد أفادت تقارير استخبارية وصلت إلى سرجون الثاني في نحو عام ٧٠٩ ق.م ، أن ملك أورارتو (أرجستيس الثاني) جمع جيشا ضخما للقيام بهجوم على بلاد آشور . هذا مع أن الملك الأوررتي ربما كان يريد بهذا الجيش أشياء أخرى ، ينظر : هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٣٦ .

١٢٠- سامي سعيد الأحمد ، ورضا جواد الهاشمي ، تاريخ الشرق ، ص٢٥٩ .

١٢١- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٥٠ .

١٢٢- تاريخ العراق في القرن السابع قبل الميلاد ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص٦١ .

١٢٣-

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No784

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٥٥٩ .

١٢٤-

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.784

125- إذ حاول الكيميريون آنذاك التوسع على حساب الممتلكات الآشورية في الأناضول ، ويرجح أن سرجون الثاني لقي حتفه خلال تصديه لهم في منطقة تابال . كما يعتقد إن الخراب المفاجئ الذي تعرضت له مدينة كالح الآشورية (نمرود

حاليا) في ذلك الوقت ، كان نتيجة لهجومهم عليها ، يراجع : هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ص١٣٦ ، ١٣٧ .

١٢٦- Olmstead,A.T.,op.cit,p.421; Rogers,R.W., A.,op.cit,vol.11, p.438 هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٤٩ .

١٢٧- Rogers,R.W., A.,op.cit,vol.11, p.438 سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٥٥٩ .

١٢٨- إذ ذكر آشوربانيبال في نصه هذا إلى إن تفوه كايجيس بأسمه أمام الكيميريين ، كان هو السبب في انتصاره عليهم فحسب ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 758 - 129 سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٥٥٩ ؛ سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص ص٦١، ٦٢ ؛ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٥٠ .

١٣٠- جورج رو ، العراق القديم ، ص٣٦٧ .

١٣١- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١٤٤ .

١٣٢- Olmstead,A.T.,op.cit,p.144 ؛ Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No579

١٣٣- فقد ورد في هذا النص ما يفيد إن سرجون الثاني كان قد فوض حكم هيلاكو إلى أحد أتباعه من حكام تابال الرئيسيين (امباريس) ، ومن ثم أعادها إلى الحكم الآشوري المباشر بعد تمرد هذا الحاكم على سلطته سنة ٧١٣ ق.م ، يراجع : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 25 - 134 - عظمة بابل ، ص١٤٤ .

١٣٥- هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ١٤٩ .

١٣٦- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .781-782 - 137 - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ١٤٩ .

١٣٨- جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٣٨٨ – ٣٨٩ .

١٣٩- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .476-479;

Olmstead,A.T.,op.cit,pp.94-95

جورج رو ، العراق القديم ، ص٣٩٠ .

-١٤٠

Olmstead,A.T.,op.cit,p.95

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٤٤٦ ؛ عبدالحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٨٥ .

١٤١- عبدالحميد زايد ، الشرق الخالد ، ص٨٥ .

-١٤٢

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,Nos. 578,672

143 - وهذا ما يمكن فهمه مما ذكره ادد – نيراري الثالث في احد نصوصه ، إذ أشار فيه لإخضاعه جميع المناطق من نهر الفرات حتى البحر المتوسط ومن بينها فلسطين (فلستيا) ، ينظر : Ibid,vol.1,No.739

144 - حول حقبة الضعف الأولى للمملكة الآشورية الحديثة ، يراجع :

Olmstead,A.T.,op.cit,pp.168-

147 هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص ص١١١-١١٤ .

١٤٥- للإطلاع على النصوص الملكية لتجلات – بيلاسر الثالث ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,Nos. 762-821.

١٤٦- العهد القديم ، الإصدار الثاني ، ط٤ ، لبنان ، ١٩٩٥ ، الملوك الثاني ، ١٦ : ٥ ، ٧ – ٨ ؛ أخبار الأيام الثاني ، ٢٨ : ٥ – ٨ .

ومما يذكر إن ما دفع رصين وفقح لمهاجمة مملكة يهوذا ، كان للإطاحة بآحاز وتنصيب احد الآراميين على عرشه ليضم يهوذا إلى حلفهما القائم آنذاك ضد الملك الآشوري تجلات – بيلاسر الثالث ، يراجع : محمد مهران بيومي ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج١٠ ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص٣٨٤ .

١٤٧- الملوك الثاني ، ١٦ : ٨ .

-١٤٨

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.815

جورج رو ، العراق القديم ، ص٤١٤ ؛ سامي سعيد الأحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، بغداد ، بلا . ت ، ص ص٢١١ ، ٢٢٣ .

-١٤٩

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.777;Hallo,W.W.,and Simpson,W.K.,The Ancient Near East A History,New York,1971,p.137.

١٥٠- محمد مهران بيومي ، مصر ، ج١٠ ، ص٣٨٤ .

١٥١- الملوك الثاني ، ١٦ : ١٠ .

١٥٢- أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص١١١ .

-١٥٣

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 547

- جورج رو ، العراق القديم ، 154 ص٤٣٦ .

-١٥٥

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 779 156-

Rogers,R.W.,op.cit,vol.11,p.438

عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ص٨٠٢ ؛ محمد مهران بيومي ، مصر ، ج١٠، ص٤٢٤ .

-١٥٧Luckenbill,D.D .,op.cit,vol.11,No. 780 -

١٥٨عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص٣٥١ .

-١٥٩Luckenbill,D. D.,op.cit,vol.11,No.547;Grayson ,A.K.,Sennachrib ,CAH,vol.111,part.2 ،p.126.

-١٦٠

Rogers,R.W.,op.cit,vol.11,p.437 ;

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .779,78o

-١٦١

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 783

سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١١ ، ص٥٥٨ .

١٦٢- محمد مهران بيومي ، مصر ، ج١٠، ص٤٢٤ .

١٦٣-Olmstead,A.T.,op.cit,p.418 عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص٣٥١ .

-١٦٤

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 783

165 - ومما يذكر أنه جاء في هذا النص ، ما يفيد أن العرب ((عريبو)) قد شاركوا بألف مقاتل بقيادة الأمير جندبو في معركة قرقر إلى جنب مملكتي دمشق وحماة الآراميتين وحلفائهما الآخرين ضد شلمنصر الثالث ، ينظر :

Ibid,vol.1,No.611.

166 – حول النصوص الآشورية تلك التي ورد فيها ذكر العرب ، يراجع :

Ibid,vol.1,Nos.817,818;vol.11,Nos.17,18,234,286,518,520,551,817-829,869,946. 167- Ibid,vol.1,No.818

جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ج١، ص٥٧٩ .

١٦٨- جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٨١ .

١٦٩- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.818

170 – جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٨٠ .

١٧١- فرتز هومل ، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، كتاب التاريخ العربي القديم ، ترجمة فؤاد حسنين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٧٦ ؛ محمد مهران بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الرياض ، ١٩٧٧ ، ص ص٢٧٧ ، ٢٧٨ .

١٧٢- احمد أمين سليم ، دراسات ، ص٣٢٧ . وللمزيد من التفصيلات عن هذه الحملة ونتائجها ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.17; Olmstead,A.T.,op.cit,pp.210-211.

١٧٣- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٦ ، ص٧٢ .

١٧٤- Olmstead,A.T.,op.cit,p.211

175 – محمد مهران بيومي ، مصر ، ج١٠، ص٤١٠ .

١٧٦- جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٨٩ .

١٧٧- فرتز هومل ، التاريخ العام ، ص٧٧ .

١٧٨- فرتز هومل ، المصدر نفسه ، ص٧٦ ؛ محمد مهران بيومي ، دراسات ، ص٢٧٨ .

١٧٩- جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٨٩ .

١٨٠- جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٩٢ .

١٨١ – ومما يؤيد تمرد حزائيل ومشاركته في دعم أخر حركة تمرد في بابل ضد

سنحاريب ، أن الأخير وبعد استعادته السيطرة على بابل سنة ٦٨٩ ق.م ، قام بحملة على البادية استهدفت حزائيل وأتباعه وحليفته الملكة العربية (تلخونو) وأتباعها ومن ثم طاردهم إلى دومة الجندل ، التي لجئوا إليها للتحصن فيها ، واستولى عليها ، حول هذه الحملة ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. .358

وللإطلاع على حركة التمرد البابلية تلك ، ينظر :

Rogers,R.W.,op.cit,vol.11,pp.381-382

هاري ساكز ، البابليون ، ص ص٢٣٦ – ٢٣٧ .

-١٨٢

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 551

١٨٣- ودومة الجندل هي مدينة الجوف الحالية الواقعة على بعد (٤٠٠ كم) شرقي البتراء ، يراجع : محمد مهران بيومي ، مصر ، ج١٠ ، ص٦٨ . وللمزيد من المعلومات عن الحملة التي أرسلها سنحاريب ضدها ونتائجها ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos ..358,518

جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٩٢ .

-١٨٤

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 518

١٨٥- جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٩٣ .

-١٨٦

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 518;

Pritchard,J.B.,op.cit,pp.291-292

187 - سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ ، ص٢١٢.

-١٨٨

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .41,70,185

189 - حول استيلاء سرجون الثاني على بابل وأرض البحر ، ينظر :

Ibid,vol.11,Nos.66-70;Grayson.A.K.,Tiglat-pileser III to Sargon II,CAH,vol.111,part 2,pp.98-99.

١٩٠- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج ، ص ص٢٧٩ ، ٢٨٤ .

١٩١- المفصل ، ج١ ، ص٥٨٨ .

١٩٢- حول تدمير سنحاريب لمدينة بابل ، يراجع :

Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.ll , Nos.341,438; Rogers,R.W., .A.,op.cit,vol.11, p.381

جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٤٣٠ – ٤٣١ .

١٩٣- عبدالحميد زايد ، الشرق الخالد ، ص ص١١٧ – ١١٨ .

١٩٤- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج ، ص٢٨١ .

١٩٥- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 438

١٩٦- جورج رو ، العراق القديم ، ص٤٣٦ .

١٩٧- Grayson,A.K.,Sennachrib,CAH,vol.111,part.2,p.130 ; Rogers,R.W.,op.cit,vol.11,p.389

198 – وذلك خلال استعادة سرجون الثاني لجنوب بلاد الرافدين من قبضة الزعيم الكلدي الشهير (مردوخ – ابلا – أدينا الثاني) ما بين عامي (٧١٠ – ٧٠٩ ق.م) ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. .32

١٩٩- Wiseman,D.J.,The vassal-Treaties of Esarhaddon,Iraq,vol.x1x,part.1,London,1958,p.13

200- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 539

201 –

وهم من الأقوام الهندو أوربية التي نزحت إلى إيران من جهة الشمال في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وقد ذكروا لأول مرة في النصوص التاريخية في نص الملك الآشوري شلمنصر الثالث الذي يعود إلى عام ٨٣٦ ق.م ، وكانوا حينها عبارة عن شعب بدوي يتنقل في شمال غرب إيران ، وقد دفعوا الجزية للآشوريين مرارا خلال القرنين الثامن والسابع للميلاد . ولكنهم بدءوا بالتوحد في مطلع القرن الأخير تحت قيادة زعيمهم (خشاثريتا) ، وكانوا حينها منتشرين في المنطقة الواقعة بين بحيرة أورميا وبلاد فارس . ويرجح إن ملكهم (سوا كسارس) الذي أتخذ من مدينة اكباتانا (همدان الحالية) عاصمة له ، هو من حررهم من السيطرة الآشورية ، وذلك بعد وفاة آشوربانيبال سنة ٦٢٧ ق.م . ومن ثم نجح الميديون وبالتحالف مع الكلديين في القضاء على المملكة الآشورية الحديثة واقتسموا معهم السيادة على ممتلكاتها . ولكنهم خضعوا أخيرا للملك الفارسي كورش الثاني (٥٥٨ – ٥٣٠ ق.م) وأصبحت بلادهم جزء من إمبراطوريته ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع :

عبدالعزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق ، ج١ ، ص ص ٥٠٩-٥١٧ ؛ عامر سليمان ، العراق ، ج١ ، ص ص٢٤٢ ، ٢٦٠ ؛ احمد أمين سليم ، دراسات ، ص ص٤٩٨ – ٥٠٠ ؛ هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ عظمة بابل ، ص ص ١٥٦ – ١٥٩ .

-٢٠٢ Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.739

جورج رو ، العراق القديم ، ص٤٠٥ .

٢٠٣- وقد وقع هذا الهجوم في أثناء ما كان شلمنصر الثالث في طريقه آنذاك لغزو منطقة جبال زاكروس ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,No.581.

احمد أمين سليم ، دراسات ، ص٤٩٠ .

٢٠٤- هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص١٤٤ .

٢٠٥- جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

٢٠٦- تقع صحراء الملح إلى الجنوب الغربي من عاصمة إيران الحالية (طهران) ، يراجع : جورج رو ، المصدر نفسه ، ص٤١٣ .

٢٠٧- للمزيد من المعلومات عن هذه الحملة ونتائجها ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.540 ; Grayson,A.K.,Sennachrib and Esarhaddon,CAH,vol.111,part.2,p.129.

-٢٠٨ Grayson,A.K.,Sennachrib and Esarhaddon,CAH,vol.111,part.2,p.129

209- Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.540

210 - جورج رو ، العراق القديم ، ص٤٣٦ .

-٢١١ Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No.540

212 - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص١١٩ .

٢١٣- حول المواجهات العسكرية بين مملكتي آشور وأورارتو خلال العصر الآشوري الحديث ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.1,Nos.584,588,598,661,769,785;vol.1,1,Nos.10,151,152,153,154,155,157-167.

هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص ص١٠٨ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ – ١٢٩ .

٢١٤- إذ أشير إلى إن سنحاريب أقام علاقات ودية مع أورارتو عندما لمس أنها

كانت في وضع يجعلها بحاجة للتقارب مع الآشوريين ، يراجع : هاري ساكز ، عظمة آشور ، ص١٣٢ .

٢١٥- فقد ابرم أسرحدون عهود ومواثيق سياسية مع الملك الأورارتي روساس الثاني (٦٨٠ – ٦٤٥ ق.م) . وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من خلال ما قام به أسرحدون بعد فتحه سنة ٦٧٣ ق.م لمدينة شوبريا الواقعة على الحدود الشمالية لبلاد آشور ، إذ قبض آنذاك على معارضين لروساس الثاني كانوا في هذه المدينة وسلمهم له ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .606-607;Grayson,A.K.,Sennachrib and Esarhdon,CAH,vol. 111, part.2,pp.129-130

-٢١٦Grayson,A.K., Assyria 668-635 B.C,CAH,vol.111,part.2,p.147

217-Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 834

- للإطلاع على هذه الانتصارات ، 218 يراجع :

Grayson,A.K., Assyria 668-635 B.C,CAH,vol.111,part.2,pp.142-155 .

٢١٩- وذلك في أخر حملتين أرسلهما آشوربانيبال ضد هذه القبائل . حول هاتين الحملتين ونتائجهما ، ينظر :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .823-829;

.Pritchard,J.B.,op.cit,p.298

٢٢٠- للتعرف لتفاصيل إحداث هذه الثورة ودور عرب البادية في دعمها ، يراجع :

Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,Nos .789-794,817-818,821;

Pritchard,J.B.,op.cit,pp.297-298. سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص ص١٥٠ – ١٦٣ .

-٢٢١

Olmstead,A.T.,op.cit,p.424 ؛ Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.11,No. 1035 ، سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص٦٢ .

٢٢٢- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص٨١ .

المسلة السوداء ، نقلا عن :

https://commons.wikimedia.org/w/index.hph?curid=235